المكتبة الثقافية
١٥٨

الفسطاط
وضاحيتاها العسكر والقطائع

دكتور عبد الرحمن زكي

الدار
المصرية
للتأليف
والترجمة

١ يونية سنة ١٩٦٦

المكتبة الثقافية

- أول مجموعة من نوعها تحقق اشتراكية الثقافة
- تيسر لكل قارئ أن يقيم في بيته مكتبة جامعة تحوي جميع ألوان المعرفة بأقلام أساتذة ومتخصصين

وبخمسة قروش لكل كتاب

- تصدر مرتين كل شهر في أوله وفي منتصفه

الكتاب القادم

حياة القرى

محمود أبو زيد

١٥ يونيه سنة ١٩٦٦

دار مصر للطباعة

الثمن ٥ ص

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

المكتبة الثقافية
١٥٨

الفسطاط
وضاحيتاها العسكر والقطائع

دكتور عبد الرحمن زكى

الدار
المصرية
للتأليف
والترجمة

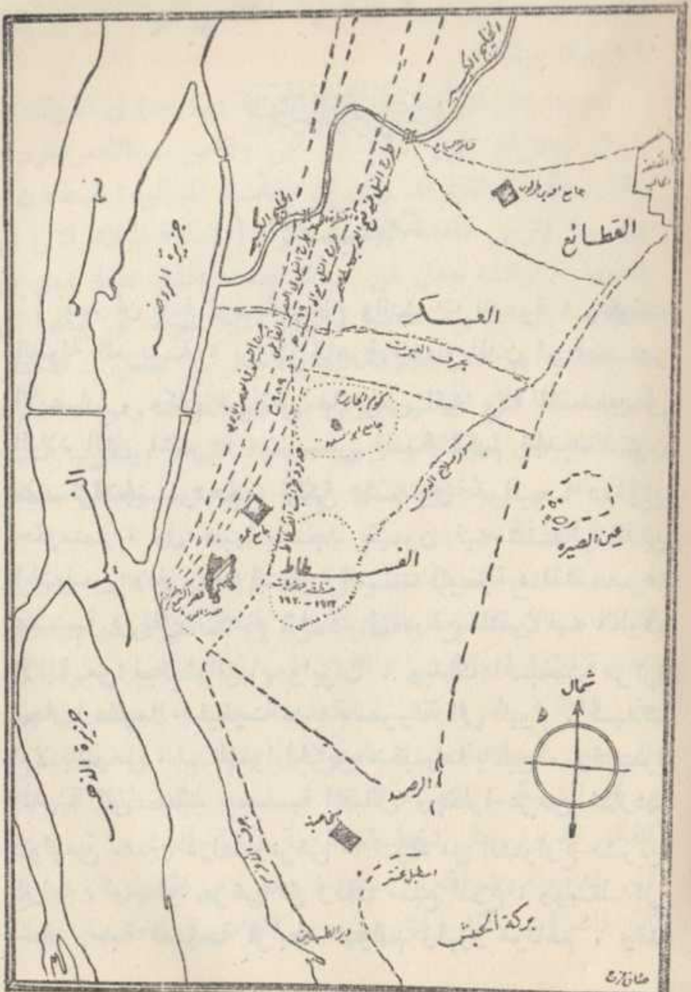
١ يونيه ١٩٦٦

توزيع

مكتبة مصر

٣ شارع كامل صدقي - الفجالة - القاهرة

تليفون : ٩٠٨٩٢٠ - ٩٠٥١٤٧



الفسطاط وموقعها بين الجبل ونهر النيل

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

بعد ان برزغ نجم الاسلام وانتشرت الدعوة ، وتكونت الدولة العربيـــة ، برزت ظاهرة انشاء المدن أو تمصـــير الأمصار . وكان من أهم ما يرمى اليه ولاة المسلمين فى البلاد التى فتحوها ، تأسيس قاعدة لملكهم الجديد لتكون معسكراً لجنـــودهم ، ولكى تضم بين جوانبهـــا دواوين حكومتهم ، وفى قلبها مسجد يقيمون فيه شـــعائر الدين الحنيف . وعلى هذا النحو ، انشئت البصرة ، فقد مصرها عتـــبة بن غزوان عام ١٦ هـ فى موقع تلتقى فيه الطرق الآتية من نجد والشام وايران . وبذلك أصبحت مركزاً تجاريا عظيما . فبقيت مدينة معروفة الى اليوم . شيدت اولا بالبوص ، ثم تلافوا الحريق ، فبنوها باللبن . وقسموا المدينة الى خطط بحسب القبائل وجعلوا عرض شارعها الرئيسى ستين ذراعا وعرض ما سواه من الشوارع عشرين ذراعا . وجعلوا عرض كل زقاق سبع اذرع ، ووسط كل خط رحبة فسيحة لمرابط خيولهم وقبور موتاهم . وقد

بلغت مساحة البصرة فى امارة خالد بن عبد الله القسرى ٣٦ ميلا مربعا .

وبعد عام أو أكثر شيدت الكوفة (١٨ هـ) فى العراق . وذلك بعد أن هزم سعد بن أبى وقاص ـ الامبراطورية الفارسية . وكان قد رأى أن يتخذ المدائن (قيطفون) عاصمة فارس قاعدة لجيشه ومركزاً لادارة البلاد التى تم فتحها . ولكنه عدل عن هذا بعدما أشار عليه عمر بن الخطاب بأن ينشىء مدينة أخرى ، واشترط فى بنائها أن لا يفصلها عن دار الخلافة بالمدينة بحر أو جسر . فاختار سعد مكانا على الجانب الغربى من نهر الفرات ومن معسكره من الغاب فى أول الأمر وبنى مسجد الكوفة وبالقرب منه داراً له . ثم اختطت كل قبيلة خطتها . وهكذا نشأت مدينة الكوفة .

ولما فتح العرب مصر فى عام ١٨ هـ ، كانت عاصمة البلاد ـ الاسكندرية ،ففكر عمرو بن العاص فى أن يتخذها قاعدة للادارة والجيش ، الا أن عمر بن الخطاب لم يوافقه على ذلك ، وأمره بانشاء مدينة جديدة لا يفصله عن المسلمين فيها ماء فى شتاء ولا فى صيف . فاختار عمرو موقع المدينة ـ التى عرفناها فيما بعد بالفسطاط ، وكان القائد قد ولى على تخطيطها أربعة من رجاله ، هم : معاوية ابن خديج ، وشريك بن سمى ، وعمرو بن قحزم ، وجبريل ابن ناشرة . ولقد وفق عمرو بن العاص فى اختيار موقع

القـاعدة الأولى لمصر الاسلامية ـ الفسطاط ـ اكثر من توفيق زملائه القادة الآخرين فى اختيار العواصم الأخرى التى اسسوها فى العراق أو فى شمال افريقية كالقيروان . ذلك لأنه راعى فى موقعها عدة امور هامة ، منها :

١ ـ ان موقع راس دلتا النيل ، له من الوجهتين الحربية والادارية ما يجعله فى مأمن من هجمات العدو ، ويسهل وصول العتاد والأقوات لقربها من الأراضى الزراعية ، كما ان له فى الناحيتين التجارية والصناعية مزايا ظاهرة .

٢ ـ من مزايا موقع الفسطاط ، توفر الشرط الذى يجب أن يعنى به فى بنـــاء المدن وهو ان يكون لها جانب يمكن ان يطرد فيه اتساعها . وهذا الاتجاه بالقياس الى الفسطاط هو الشمال ، فلما اريد توسعتها بنيت العسكر فالقطائع فالقاهرة ، وفى العهد القريب شيدت العباسية فى اعقاب الحسينية ثم مصر الجديدة ومدينة نصر .

٣ ـ ان الضفة الشرقية مجاورة للمقطم ومرتفعة ولا يغمرها النيل فى اثناء الفيضان . لذلك كان الامتداد على هذه الضفة ، ولم ينقل الى الضفة الغربية الا فى السنوات الأخيرة .

وتعتبر الفسطاط من ذلك الطـــراز الأول من المدن الاسلامية ، الذى نشأ فى عصر الفتوح الاسلامية ـ وكان موضع نقد الفيلسوف ابن خلدون فى مقدمته المعروفة . فقد قال ان مهندسى العـــرب الأول لم يراعوا الشروط

الأساسية التى ينبغى توافرها عند انتخاب موقع المدينة وتخطيطها . ومع ذلك فاننا نلاحظ طرازاً آخر من المدن الاسلامية ، قام بعد عدة قرون قلائل ، كما حدث فى بغداد وسامرا[٢] والقاهرة .

لقد تناول كثير من المؤرخين وكتاب الخطط ــ مدينة الفسطاط كما وصفها الرحالة فى مراحلها المتعاقبة ، ولا شك فى أننا قد افدنا كل الافادة بما دونوه . ونأمل ان نكون قد وفقنا فى كتابة هذه السطور .

والله الموفق دواماً .

عبد الرحمن زكى

فسطاط عمرو

لما فتح العرب مصر فى سنة ١٨ هـ كانت عاصمة البلاد ـ الاسكندرية ـ ففكر عمرو بن العاص فى ان يتخذها قاعدة للادارة والجيش . الا أن عمر بن الخطاب لم يوافقه على ذلك ، بل أمره بانشاء مدينة أخرى لا يفصله عن المسلمين فيها ماء فى شتاء ولا صيف . وسواء أصحت أسطورة اليمامة المشهورة التى أفرخت فى مكان عمرو أم لم تصح فانه بعودته من فتح الاسكندرية قصد ذلك المكان الفسيح الذى يقع شمال حصن بابليون الرومانى حيث عسكرت قوات العرب للمرة الأولى . وامر بتاسيس الفسطاط ليجعلها قاعدة البلاد ودار الامارة واختط عمرو الجامع العتيق ، ثم اختطت القبائل العربية من حوله ، وكان عمرو قد ولى على الخطط اربعة من المسلمين للفصل بين القبائل فى تنظيم خطة كل منها ، هم : معاوية بن خديج التجيبى ، وشريك بن سمى الغطيفى ، وعمرو بن قحزم الخولانى ، وجبريل بن ناشرة المعافرى [١] . ويخالف بطلر المؤرخ Butler هذا الرأى ، فيقول : «والظاهر أن الذى قام بتنفيذ هذا الأمر

(١) ابن دقماق : الانتصار ـ الجزء الاول . ص ٣٢٢

انما هم القبط لدرايتهم بفن العمارة التى كان يجهلها العرب [1] . والواقع أن تخطيط الفسطاط فى ذلك العهد لم يكن من التعقيد بحيث يحتاج الى معماريين مهرة .

روى البلاذرى أن الزبير هو الذى اختط الفسطاط واتخذ فيها لنفسه دارا جعل فيها السلم الذى صعد منه الى سور حصن بابليون ، وبقى فيها ذلك السلم حتى احترق فى حريق الوزير شاور . ويصف ابن الحكم فى كتابه « فتوح مصر » خطط الفسطاط الأولى ويبين كثيرا من مواضع الدور والأمكنة التى بناها رؤساء الجند والزعماء . وقد استند المستشرقون الى ما كتبه ، فرسموا تخطيطات هامة فى غاية الدقة لطبوغرافية الفسطاط . وقد حدد المؤرخ المقريزى موقع الفسطاط فى خططه فقال :

« اعلم أن موقع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بجبل المقطم ، ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف بعضه اليوم بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقيم فيها ما يشاء ثم يعود الى دار الامارة » .

---

(١) بطلر : فتح العرب لمصر ، ترجمة الأستاذ محمد فريد أبو حديد . ص ٢٩٤

وتاريخ انشاء الفسطاط مختلف فيه ، فالبلاذرى يقول : انه كان بعد فتح بابليون ، فى حين ان اكثر المؤرخين يجعله بعد فتح الاسكندرية كما ذكرنا . ومن المحتمل أن يكون بناء المدينة قد بدأ بعد صلح الاسكندرية ، وانها زادت فيما بعد حتى صارت مدينة وعاصمة ذات شأن كبير ، ثم نمت نموا سريعا بعد عام واحد من انشائها . وقد قال المؤرخ أبو المحاسن أن عمرو بن العاص بنى الفسطاط عام ٢١ هـ بعد فتح الاسكندرية . ومما زاد فى مكانة الفسطاط أنه كانت تصل بابليون والبحر الأحمر عند القلزم (السويس) قناة قديمة اسمها أمينس تراجانوس (طرايانوس) وكانت تمر بمدينة بلبيس وبحيرة التمساح ولكنها اهملت فى وقت ما فأعاد حفرها عمرو بن العاص ، وعادت اليها اهميتها القديمة ، فكانت ترسل بوساطتها الغلال الى بلاد العرب وسهلت بذلك المواصلات بين خليفة المؤمنين وواليه فى مصر .

الجامع :

ولما انتهى عمرو بن العاص من بناء عاصمته الجديدة انشأ الجامع العتيق أقدم المساجد فى مصر واول نواة للعمارة الاسلامية فيها [1] وقد اختار عمرو موضع المسجد

---

(١) محمود احمد : جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ـ عام ١٩٤٢

فى المكان الذى كان فيه لواؤه وقد عرف باسم مسجد اهل الراية وهم نخبة من الجند الأنصار والمهاجرين كانوا يؤلفون قوات الجيش وتلتف حولهم كل قبيلة برايتها . وقد اورد المؤرخ ابن عبد الحكم فى تاريخه خطبة عمرو التى قالها ى يوم الجمعة وجاء فيها :

« حدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ان الله سيفتح عليكم بعدى مصر فاستوصوا بقبطها خيرا . فان لهم فيكم صهرا وذمة فكفوا أيديكم وعفوا فروجكم وغضوا ابصاركم ... وحدثنى عمر أمير المؤمنين انه سمع رسول الله (صلعم) يقول : اذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جندا كثيفا فذلك الجند خير أجناد الأرض ، فقال له ابو بكر : ولم يا رسول الله ؟ قال : لأنهم وازواجهم فى رباط الى يوم القيامة » .

ولقد مرت أدوار كثيرة على (تاج الجوامع) كما أطلق عليه ، ووصفه الرحالة الأندلسى ابن سعيد الذى زار مصر فى القرن الثالث عشر فقال :

« .. ثم دخلت فيه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه . وابصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا باوطئة اقدامهم يجوزون فيه من باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والحلوى . والناس ياكلون منه فى أمكنة عديدة غير محتشمين لجرى

العادة عندهم . والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف والأركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة . . » .

ولما اقبل القرن الثامن عشر كتب الجبرتى فى تاريخه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » : وانتشر الموسيقيون فى فنائه والقرداتية والراقصات فذهب بهاؤه القديم حتى هجره هؤلاء أيضا ، ولولا اقدام مراد بك على اعادة تجديده لاندثر تاج الجوامع منذ قرنين .

وفى الجبهة البحرية من الجامع بنى عمرو دارا له وأخرى غربها لابنه عبد الله عرفت بالدار الصغرى تمييزا لها عن دار أبيه التى عرفت « بالدار الكبرى » . كذلك بنى الزبير ابن العوام دارا بجوار دار عبد الله . ولما رسخت اقدام المسلمين فى مصر اتسعت وزادت عمارة الفسطاط وفاقت البصرة والكوفة فى كثير من الوجوه وبلغ امتدادها على ضفة النيل ثلاثة أميال كما ذكر ابن حوقل [1] . وقال القضاعى عن مقدار عمارتها انه كان فى الفسطاط ٣٦٠٠٠ مسجد و ٨٠٠٠ شارع مسلوك و ١٧٠٠ حمام .

ومع أن فى هذا التقدير مبالغة ظاهرة فلا شك أن

---

(١) ابن حوقل رحالة بغدادى زار الفسطاط فى النصف الاخير من القرن الرابع الهجرى (أواخر القرن العاشر الميلادى) .

الفسطاط بلغت مكانة رفيعة من العمران ، وارتقت فى عهد خلفاء بنى امية وصارت مقـرا لولاتهم . وفيها شـيد عبد العزيز بن مروان امير مصر من قبـل اخيه الخليفة عبد الملك دارا للامارة عرفت بدار عبد العزيز كانت مطلة على النيل بلغ من سعتها وكثرة ساكنيها انهم كانوا يصبون فيها أربعمائة راوية ماء كل يوم . وقد علت هذه الدار قبة مذهبة شأن الأمويين فى تفخيم بناياتهم حتى تبز المبانى البيزنطية التى خلفها الروم وراءهم فى الأقطار التى انتزعها العرب منهم .

ولعل دار الامارة هذه كانت أول بناية اسلامية كبيرة بمصر وصل الينا نبأ زخرفتها ، وقد مرت على الفسطاط بعد ذلك مراحل متعددة . فكانت كما ذكر ابن حوقل فى زمن من الأزمان نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ ، على غاية العمارة والطيبة ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام ومتاجر فخام ولها ظاهر انيق وبساتين نضرة ومتنزهات خضرة .

ولما زار الفسطاط الرحالة ابن سعيد كانت قد تغيرت احوالها وانقلبت محاسنها الى اضدادها فقال فى وصفها :

« ولما اقبلت الفسـطاط أدبرت عنى المسرة وتأملت أسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب مغمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشـوارع قد بنيت بالطوب الأدكن والقصب

والنخيل طبقة فوق طبقة وحول أبوابها من التراب الأسود والأذبال ما يقبض أنف النظيف ويغض طرف الظريف »[1] .

ومنذ تأسست الفسطاط الى ان بنى العسكر وليها تسعة وعشرون اميرا مدة مائة وثلاثة عشر عاما وسبعة عشر اشهر أولها يوم الجمعة مستهل محرم سنة عشرين من الهجرة حينما وليها القائد عمرو . وكان آخر امرائها صالح بن على بن عبد الله من قبل أمير المؤمنين أبى العباس ابن محمد السفاح ، ومن بعده سكن أمراء مصر العسكر . وكان أولهم أبو عون عبد الملك .

طقس مدينة الفسطاط

كتب الطبيب المصرى « ابو الحسن على بن رضوان »[2] الذى عاش فى الفسطاط بين ٩٨٠ و ١٠٦١ م عن طقس الفسطاط نبذات كثيرة نقلها عنه المقريزى فى الخطط ، فذكر

---

(١) ابن سعيد : الاغتباط على حلى مدينة الفسطاط .

(٢) ولد ابن رضوان بالجيزة زمن الدولة الفاطمية فى اواخر القرن العاشر وقرأ شيئا من الطب وتقدم فى صناعته وقصده الطلبة وكتب عدة رسائل وتصانيف منها « رسالة فى دفع مضار الابدان » وغيرها واشتهر بمناظرته الطبيب العراقى المعروف بابن بطلان الذى جاء خصيصا لمناقشة ابن رضوان بالقاهرة (١٠٤٩) فأقام فى مصر ثلاث سنوات حفلت بالمجادلات . انظر خمس رسائل لابن بطلان البغدادى ولابن رضوان المصرى ، مطبوعات كلية الاداب (جامعة القاهرة) ، ١٩٣٧

ان « المدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات أربعة أجزاء ، الفسطاط والقاهرة والجزيرة (الروضة) والجيزة ، وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة ، والجبل المقطم فى شرقيها . وقد قال الأطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل فى شرقيه يعوق ريح الصبا عنه ، وأعظم اجزائها هو الفسطاط ، ويلى الفسطاط من الغرب النيل ، وعلى شط النيل الغربى اشجار طوال وقصار ، واعظم أجزاء الفسطاط موضع فى غور ، فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف [1] ومن الشمال الموضع العالى من عمل فوق [2] اعنى الموقف ، والعسكر وجامع ابن طولون . ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق أو من مكان آخر عال ، رأيت وضعها فى غور . وقد بيّن أبقراط أن المواضع المتسفلة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولأن ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها . وازقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وأبنيتها عالية . وقد قال روفس [3] اذا ما دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الأزقة

---

(١) الارض المرتفعة وكانت جملة تلال ضخمة تقع جنوب الفسطاط ، اقيم على جزء منها قصر الشمع .

(٢) عمل فوق اى الجزء العلوى من الفسطاط ويحيط بعمل أسفل فى نصف دائرة الى الشمال الشرقى .

(٣) روفس طبيب اغريقى مشهور نشأ فى افسوس وازدهر اسمه فى الاسكندرية فى أثناء القرن الاول الميلادى .

مرتفعة البناء فاهرب منها ، لانها وبيئة . اراد أن البخار لا ينحل منها كما ينبغى لضيق الأزقة وارتفاع البناء . وفى خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط وهى ايضا كثيرة الغبار لسخانة أرضها حتى انك ترى الهواء فى أيام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد . فأما القرافة فأجود المواضع لأن المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها ، واذا هبت ريح الشمال مرّت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط ، والقاهرة على الشرف فغيرت حاله ، وظاهر ان المواضع المكشوفة فى هذه المدينة هى أصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة ، وارداً موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان فى الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل ، وارداً ما فى المدينة الموضع الغائر من الفسطاط ، ولذلك غلب على أهلها الجبن وقلة الكرم وانه ليس احد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا فى النادر وصاروا من السعاية والاغتياب على امر عظيم » .

خطط الفسطاط

اذن عمرو للقبائل ان تختط حول الجامع وامر معاوية ابن خديج وآخرين ليشرفوا على هذا العمل ، وكانت كل قبيلة منعزلة عن غيرها ، وقد امتدت الخطط من النيل فى الغرب حتى عين الصيرة فى الشرق ومن جبل يشكر من

الشمال حتى الشرق وجبل الرصد (المعروف باصطبل عنتر) فى الجنوب والتصقت الخطط القريبة من الجامع ومن قصر الشمع .

واهم خطط الفسطاط فى أعوامها الأولى :

١ ـ خطة أهل الراية : وكانت على مقربة من جامع عمرو وهم جماعة من قريش والأنصار وخزاعة .

٢ ـ خطة مهرة : وكانت فى الجنوب الشرقى من خطة أهل الراية وكان لهؤلاء خطة أخرى على جبل يشكر .

٣ ـ خطة تجيب : وتقع الى الجنوب الشرقى من خطة مهرة .

٤ ـ خطط لخم : وكانت تحتل ثلاثة مواقع اولها فى الشمال الشرقى من الجامع .

٥ ـ خطة اللفيف : وكانت تلاصق خطة أهل الراية .

٦ ـ خطط اهل الظاهر : امتدت شرقى لخم فى الشمال الشرقى حتى موضع حائط مجرى العيون الحالى .

٧ ـ خطة وعلان : وتقع الى جنوب قصر الشمع .

٨ ـ خطط الفرس : وقد شغلت المكان القريب من جبل الرصد ومن اهم قبائلها بنو وائل وراشدة وكان خليج بنى وائل متصلا ببركة الحبش كما كانت بساتينهم تحف بشواطىء البركة .

٩ ـ خطط خولان : ولها مكانان أولهما جنوبى قصر

الشمع وثانيهما مكان الكوم المشرف على مصلى خولان .

١٠ ـ خطة المعافر : ومكانها على جبل الرصد المطل على بركة الحبش .

١١ ـ خطط الروم واليهود : وقد عرفت باسم الحمراء امتدت الى المكان الذى يشغله اليوم جامع ابن طولون وقد عرفت هذه القبائل باسم بنى بنيه وبنى الأزرق وبنى ربيل ، وكانت خططهم تعرف باسم الحمراء القصوى والحمراء الوسطى والحمراء الدنيا ومكانها اليوم الخط الذى يقع فيه دير مارمينا بميدان الطيبى بمصر القديمة [١] .

١٢ ـ خطط القبط : فى قصر الشمع .

وكانت هناك خطط لعبد الرحمن بن ملجم اعطيت له بامر عمر بن الخطاب ليعلم الناس القرآن وليتخذها مسكنا.

وفى الفسطاط بنى عمرو أول حمام ، وقيل ان الروم لما شاهدوه احتقروه وقالوا يصلح للفار فسمى بحمام الفار .

وهكذا بدت فسطاط عمرو فى القرن الهجرى الأول ولكن بعد ذلك اتسع نطاقها ونمت واتسعت خططها

---

(١) فؤاد فرج : القاهرة جـ ٢ ص ٣٢٠ ـ ٣٢١

وتلاصقت بما فيها ثم نشأ عنها مدينة بلغت أوج الكمال حوالى القرن العاشر .

ويلاحظ ايضا ان الفسطاط ارتقت حالهــا على أيام الأمويين ، وبالرغم من بنـــاء ضاحية العسكر فقد ظلت الفسطاط مركزا للصنائع والحرف والتجارة واقيمت بها الأسواق وأطلق عليها أسماء أرباب الحرفة أو الصنعة التى تباع فيها مصنوعاتهم ، واختطت فيها الشوارع والحارات والدروب والأزقة والميادين وتتوسطها المساجد والدور .

دور الفسطاط

كشفت حفائر الفسطاط عن دور كثيرة لها أفنيــة متوسطة الحجم وظهر منها أن الفــرف فى كل دار كانت تحيط بالحوش فى نظام مماثل لما فى الدور الأخرى ، اللهم الا فى أحوال نادرة وكانت جميع هــذه الدور على نظام هندسى قائم على محورين يلتقيان فى وسط حوش وتختلف الغرف المحيطة به فى المقياس والنسب . وفى كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات تختلف فى الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى وهى أوسع من الفتحتين الجانبيتين ، ويفصــلها عنهــا كتفان مبنيان بالآجر . وفى سمت الرواق القاعة وتكتنفهــا من جانبيهمــا حجــرتان صغيرتــان منعزلتان عنها ، وفى الجوانب الثلاثة الأخرى من

الحوش فى محور كل جانب ايوانات تختلف فى الامتداد الى الداخل فتتكون منها تارة قاعات وطورا وهو الأغلب ايوانات صغيرة أو صففف ويلاحظ فى الرواق ذى الفتحات الثلاث الذى يمر منه الداخل الى الغرف المهمة من السكن انها شرقية وفى الغالب وفى بعض الأحيان غربية وكانوا يتجنبون الجنوب كما يتجنبون الشمال وكانت أهم مشتملات دار الفسطاط الأجزاء الآتية :

(ا) الحوش ويتوسط الدار وهو غير مسقوف ومقاسه فى الغالب بين اربعة وخمسة أمتار مكشوفا ليتوفر للقاعة الكبيرة الظل والنسيم والنور .

(ب) الرواق والقاعة : هما المحلان المهمان فى الدار — ويلاحظ ان هذا النظام فى الدور لا يزال باقيا حتى الآن فى مدن اسبانيا الجنوبية وفى شمال افريقيا وفى عدة جهات من العالم الاسلامى . وقد وجد فى الأخيضر وفى سامرا بالعراق كما نراه بالقاهرة فى قصر ست الملك [1] قبل ان يضم الى مارستان قلاوون [2] .

---

(١) دار ست الملك بنت العزيز لدين الله نزار واخت الحاكم بأمر الله . وسكن هذه الدار فى دولة الأيوبية مؤنسة بنت الملك العادل ابن بكر بن أيوب ثم الأمير فخر الدين جهاركس صاحب القيسارية بالقاهرة ثم سكنها الملك الافضل قطب الدين حتى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها ، ولسكن قطب الدين الأيوبى بها ، سميت الدار القطبية .

(٢) حفريات الفسطاط (ص ٩١) .

(جـ) الايوانات : وهى من المميزات المعمارية التى ترافق الحوش حيث يسهل التنقل فيها من محل الى آخر على حسب الفصول وساعات النهار .

ومن المحتمل أن باب الدار لم يكن فى اتجاه محور من المحاور ويظهر أن الدركاة والدهليز الذى يؤدى الى الباب كانت على شكل مخدع وان كان ذلك لم يستنتج من الحفائر وانما هو من القواعد العامة التى كانت متبعة فى المبانى الاسلامية فى كل العصور ، والغرض منه حجز ما يجرى فى الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج .

ولم تكن منازل العرب فى أول الأمر بمدينة الفسطاط تحتوى الا على طابق واحد ارضى .

وقد قيل ان اول من بنى غرفة ذات طنف بالفسطاط هو خارجة بن حذافة فبلغ عمر بن الخطاب امرها ، فكتب الى عمرو يقول : ادخل غرفة خارجة وانصب فيها سريرا وأقم عليه رجلا ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كوتها على عورات جيرانه فاهدمها . ففعل ذلك عمرو [1] . ولما وجدها غير ضارة اقرها فأخذت البيوت تتسع كما أخذت عمارة المدينة تزدهر وتزداد حتى فاقت مدينتى البصرة والكوفة .

وعلينا أن نقرأ بتحفظ رواية الرحالة الفارسى ناصر

---

(١) ابن دقماق جـ ٤ ص ٦

خسرو الذى زار مصر فى ايام الفاطميين ، فقد ذكر أن بعض دور الفسطاط كانت مكونة من اربع عشرة طبقة . فلو فرضنا أن هذه الطبقات كانت ذات ارتفاع قليل لكان ارتفاع البيت يقرب من خمســة وثلاثين مترا على اقل تقدير . ولكن رواية ناصر خسرو قد تكون دليلا على ان بيوت المدينة كانت لها طبقات .

كما أنه قد وصل الينا ان لبعض المنازل أسطحا واطئة جــدا . ومن البديهى ان المدينة لا تكون ابنيتها كلها على طراز واحد فتكون فيها الفنادق والرباع . وكانوا يشيدونها فى الجهات المزدحمة بالمتاجر على ضفاف النيل وبجانبها الدور من بينها ما يكون مخصصا لأسرة واحدة . ولقد اثبتت حفريات الفسطاط ان بعض الدور كان لهـا حوشـان منفصلان بحيث أمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها . ومن المحتمـل أيضا أن يكون أحـدهما مخصصا للرجال والآخر للحريم وان كنـا لم نوفق حتى الآن الى معرفة الحالة الاجتماعية التى كان يعيش فيها النساء فى أوائل الفتح الاسلامى وفى العهدين العباسى والطولونى ، وعلى كل حال فالمعروف ان الغرف لم تكن معدة لغـرض مخصوص كما تطورت الحال فيما بعد فى بيوتنا الآن . فان القاعة الكبيرة والرواق والأواوين بل والصحن ، كل ذلك كان يستعمل لاستقبال الزائرين تبعـا لأوقات النهـار والفصــول .

وإذا استثنينا بعض الدور الاسلامية التى كشفها المرحوم على بهجت فى الفسطاط بين سنتى ١٩١٢ و ١٩١٩ فاننا لا نعرف آثارا أخرى نستدل منها على نظام الدور التى سكنها الولاة والحكام الأيوبيون والعباسيون . هذه المنازل التى كشفت فى الفسطاط من المحتمل جدا أن نرجعها الى عهد العباسيين والطولونيين . وقد بلغت الفسطاط فى ذلك الحين غاية الزهو والثراء . والواقع أن المقارنة بين ابنية الفسطاط وابنية سامرا وجامع ابن طولون ثم أوجه الشبه بين الزخارف التى كانت تحلى بها بعض واجهات الدور فى الفسطاط وبالزخارف المنقوشة على بعض شواهد القبور فى القرنين الثالث والرابع الهجرى ، كل ذلك يرجح ان معظم ابنية الفسطاط كانت من عصر الدولتين العباسيه والطولونية .

وقد وقفنا من الخطط المقريزية على وصف القصر الذى شيده أحمد بن طولون وابنه خمارويه فى القطائع بعد أن خربت ومحيت آثارها من الوجود (٢٩٢ هـ / ٩٠٥ م) على يد محمد بن سليمان الكاتب (الخطط جـ ٢ ص ١٠٦) ، ولا حاجة لنا بهذا الوصف العام الذى أورده المقريزى عن هذا القصر . فهذا الوصف لا يعيننا البتة على معرفة نظام هندسته وتوزيع غرفه الداخلية أو أجزائه الرئيسية وارتفاعها وسعتها .. الخ مما يساعدنا على اثبات نقط

واضحة فى هذا الموضوع ، والخيال ايضا لا يصل بنا الى شىء حاسم .

ولسنا نعلم الشىء الكثير عن الدار فى العهد الاخشيدى القصير الأجل . وقد ذكر المقريزى ذلك البستان الذى أمر بغرسه محمد بن طغج الاخشيد وسماه المختار . وبنى فيه قصرا واماكن له ولغلمانه وكان يفاخر به أهل العراق .

الشرطة فى الفسطاط

لما فتح عمرو مصر ، وضع نظام الشرطة بالفسطاط وكان الوالى هو الذى يعين صاحب الشرطة وفى حالات نادرة جدا كان الخليفة هو الذى يعينه وصاحب الشرطة هذا كان بمثابة نائب للوالى ، يؤم الناس فى الصلاة اذا مرض الوالى ، ويحكم الولاية اذا خرج الوالى من مقر ولايته ، فنرى خارجة بن حذافة صاحب الشرطة يؤم الناس فى الصلاة اثناء مرض عمرو بن العاص . وكان بالفسطاط دار للشرطة .

ولما تأسست مدينة العسكر سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م انشئت فيها دار للشرطة أطلق عليها دار الشرطة العليا ، كما انشئت دار الشرطة السفلى ، وانقسمت الشرطة بذلك الى قسمين :

(ا) الشرطة السفلى ومقرها الفسطاط .

(ب) الشرطة العليا ومقرها العسكر .

وكان أصحاب الشرطة يهتمون بنشر الفضيلة والمحافظة على الآداب العامة ، ففى ولاية مزاحم بن خاقان سنة ٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م ، نراه يتشدد فى نشر الأخلاق الفاضلة وقمع أهل الفساد ، ثم التفت الى أحمد بن مزاحم ارخوز صاحب شرطته وحرضه على أمور أمره بها ، فشدد أرخوز عند ذلك ومنع النساء من الخروج من بيوتهن والتوجه الى الحمامات والمقابر وسجن المؤنثين والنوائح [١] .

وفى أيام الطولونيين وجدت شرطتان : الفوقانية والسفلانية ، اى الشرطة العليا والشرطة السفلى . وكانت الأولى تختص بالنظر فى أحوال الطبقة العليا من القادة والعظماء والعلماء ، أما الثانية فكانت خاصة باقامة العدل وتوطيد الأمن بين العامة وأوساط الناس [٢] . وظلت الشرطة فى المناصب الهامة فى أيام الأخشيديين ولكن امر تعيينهم وعزلهم كان يصدر عن والى مصر لا عن الخليفة العباسى . وكان مقر الشرطة الطولونية فى المكان الذى شيد فيه ابن طولون مسجده الجامع .

ولما قدم محمد بن طفج الاخشيد الى مصر واستقر له

---

(١) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٣٣٧ . انظر أيضا الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى فجر الاسلام ص ٢٣ ـ ٢٦

(٢) أحمد ممدوح حمدى : الشرطة فى مصر الاسلامية ومعاقل التأديب بها ، مقال فى مجلة المجلة .

الأمر عين على الشرطة سعيد بن عثمان غلام الأحول فى رمضان سنة ٣٢٣ هـ / ٩٣٥ م • وكان سعيد هذا صاحب الشرطة على عهد أحمد بن كيغلغ ولكنه لحق بابن طفج عند قدومه فكافأه على ذلك بتعيينه فى هذا المنصب . ومن اصحاب الشرطة على عهد خلفاء الأخشيد بدر غلام يانس وقد وليها سنة ٣٥١ هـ / ٩٦٢ م .

ولما فتح جوهر الصقلى مصر (٩٦٩) نقل الشرطة العليا من العسكر الى القاهرة . وذكر ابن دقماق ان صاحب الشرطة توفى فى اليوم نفسه الذى وصل فيه جوهر الى مصر ، فأسند عمله الى جبر ، وبقيت دار الشرطة السفلى بالفسطاط وتقلدها «عروبة بن ابراهيم» و «مشبل المعوضى» .

كانت الاضاءة تعم طرق الفسطاط وحاراتها كما هو الحال فى القاهرة ، ففى عام ٣٨٣ هـ / ٩٩٣ امر الخليفة العزيز بالله باضاءة المصابيح على الدور وفى الأسواق ، وفى ذى الحجة سنة ٣٩١ هـ / ١٠٠٠ امر الحاكم بأمر الله ان توقد القناديل فى سائر البلد على جميع الحوانيت وابواب الدور والمحال والسكك ، فنفذت أوامره ، وكان ينزل الحاكم بأمر الله كل ليلة الى المدينة متفقدا شوارعها واخطاطها وازقتها ، فتبارى

السكان فى الاضـــاءة وزينت القياسر والأسـواق بانواع الزينة [1] .

ولم تكن الاضاءة مقصــورة على الدور والشـوارع والحوانيت ، بل انه الزم بها المشاة ، فكل انســان يحمل فانوسا يضىء له ، ومنها الصغير للفرد والكبير يسير به الضوى امام سادته ، هــذا عدا المشاعل التى تتقــدم المواكب .

وشاع استعمال الفوانيس التى تحمل على البغال مع الفانوسية أمام وخلف ركب الملوك فى الليل ، وكان أول من حمل الشــمع معه على البغال فى الليــل محمد بن طفج الأخشيد فكانت الشمعة تحمل على مؤخر البغل وفراش بركب امامها يلتفت اليهــا بين آونة واخرى يصلحها أو يضيئها [2] .

وكان فى الفسطاط فى عهد والى مصر عبد العزيز بن مروان ، جماعة اطفاء مكونة من خمسمائة عامل لمكافحة حريق طارىء فى البلد او هدم ، وفى أيام الفواطم كان يوضع زير مملوء بالماء امام كل حانوت مخافة حـدوث حريق فى مكان فيطفأ بسرعة .

وفى عام ٥١٧ هـ / ١١٢٣ م امر الوزير المأمون الواليين

---

(١) المقريزى : والمواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ١٠٨

(٢) القلقشندى : صبح الاعشى جـ ١ ص ٤١٦

بمصر والقاهرة باحضار رؤساء السقايين واخذ التعهدات عليهم باستعدادهم للحضور كلما دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا ، ورتب طائفة من العتالين كى يبيتوا على باب كل معونة (مركز الشرطة) مع عشرة من الفعلة ومعهم الطوارق والقرب مملوءة بالماء ، على أن تتكفل الحكومة بنفقاتهم .

آبار الفسطاط

استمد سكان الفسطاط مياه الشرب بوساطة السقائين الذين كانوا يجلبونها من النهر بالقراب وكانت تحفظ فى أزيار من الفخار او فى صهاريج صغيرة معدة فى الصخر تحت المنازل ثم تسحب منها بالدلاء كلما دعت الحاجة .

وقد حفرت آبار كثيرة فى الفسطاط وكانت تمد بمائها الأحواض العليا فى الدور . وقد نقرت هذه الآبار فى الصخر وتجاوزته الى الطبقة الرملية حيث توجد المياه الغائرة ، ولكن هذه المياه كان يكثر فيها الملح كلما بعدت الآبار عن النيل ، ولذلك كانت مياهها غير صالحة للشرب وكانت تستعمل فقط فى غسيل الملابس والأوانى والنافورات ، وكانت هذه المياه ترفع الى الأحواض العالية بالدور اما بوساطة السواقى أو بالآلات الرافعة اليدوية ثم تتجه من الأحواض الى انحاء الدور المختلفة فى انابيب من

الفخار عثر على كثير من بقـــاياها فى أعقاب حفـــريات الفسطاط .

وكان فى فناء بعض الدور نافورة أو حوض مربع مبنى بالطوب الأحمر ، وقد تحيط به الخضرة ، كما انه كان فى بعض المنازل أحواض لغسيل الأيدى .

خليج أمير المؤمنين

ومما ساعد على ازدهار الفسطاط وانتعاش حركتها التجارية ، اعادة حفر القناة القديمة التى كانت توصل النيل بالبحر الأحمر وكانت تعرف باسم خليج تراجان على زمن الرومان . وكان يخرج من النيل شمال بابليون وفى أثناء الفتح العربى كان مبدؤه بشارع الخليج المصرى فى حذاء مدخل شـــارع بنى ازرق بأرض جنينة لاظ الواقعة فى الجهة الشمالية الغربية من جامع السيدة زينب .

ولما كان هذا الخليج قد طمس فى كثير اجزائه عند فتح العرب لمصر ، فقد استأذن عمرو الخليفة عمر فى اعادة شقه فسمح له وسمى بخليج امير المؤمنين وجرت فيه السفن ووصلت الى الحجاز محملة بالغلال والعروض وانواع الطعام ، وظل يؤدى أعمـــالا جليلة حتى اهمل فى زمن عمـــر بن عبد العزيز سنة ٧٢٣ م وفى أيام من جاءوا بعده من الولاة وبعد انشاء القاهرة عرف باسم خليج القاهرة فالخليج

الحاكمى ثم سمى خليج اللؤلؤة نسبة الى قصر الأؤلؤة الذى كان قائما فى العصر الفاطمى فى موقع مدرسة الفرير بالخرنفش وسمى أيضا خليج مصر أو الخليج المصرى ، وفى سنة ١٨٩٧/١٨٩٩ ردم الجزء الواقع من الخليج داخل مدينة القاهرة وحل محله شارع الخليج المصرى الذى سمى بشارع بور سعيد عام ١٩٥٧

ميناء الفسطاط

وعلى مر الأيام اصبحت ميناء الفسطاط اعظم موانىء مصر ، منها تصدر وترد المتاجر من أقاصى البلاد الى شماليها وقد دهش ابن سعيد المغربى من نشاط الميناء ، فقال : « اما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف ، وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد .

وليس بخاف ايضا ان أول دار للصناعة انشئت بمصر الاسلامية كانت تلك التى انشئت بالفسطاط وكان مقرها جزيرة الروضة على ساحلها الجنوبى الشرقى . انشئت عام ٦٧٣ لبناء السفن حتى أيام ابن طولون ثم احرقتها عام ٩٣٤ سفن اسطول محمد بن طفج الأخشيدى ، ثم نقلها من الجزيرة الى الفسطاط مكان بستان الطواشى . ويقال

ان جزءا منها هو الذى نقل الى الفسطاط ويؤيد ذلك ما ذكره بعض المؤرخين بقولهم انه كان هناك داران للصناعة فى عهد الفواطم احداهما بالروضة والأخرى بالفسطاط ، ولما طرح البحر فى المسافة بين الفسطاط ودير النحاس ، وتكونت اراض جديدة نقلت دار الصناعة الى ساحل مصر تجاه دار النحاس (دير النحاس) حيث استقرت فترة طويلة ، ثم نقلت الى ساحل بولاق فى أيام محمد على .

القـــرافة

وكانت القـرافة من معالم الفسـطاط ، وقد افاض المقريزى وغيره فى الكلام عنها فقد رؤى أن تكون للحاضرة الاسلامية مقبرة ، ولذلك جعلت بأرض المقوقس عند سفح المقطم شرقى الفسطاط ، ودفن فيها عمـرو بن العاص واربعة من الصـحابة ، وخصص فى جنوب المقبرة مكان لدفن موتى الأقباط وظلت مستعملة حتى أيام الفواطم ، ثم اخذ خلفاؤهم يدفنون موتاهم فى تربة الزعفـران من القصر الكبير (خان الخليلى) ، اما الأهالى فقد ظلوا يدفنون موتاهم فى مقبرة الفسطاط .

وبعد اضمحلال الفسطاط طغت المقابر على مساكن خطة المعافر التى خلت تدريجا من ساكنيها وعلى مساكن خطة بنى قرافة ومن هنا أطلق اسم القرافة على المدافن

بتلك الجهة أولا ثم عم سائر المدافن وعرفت باسم القرافة الكبرى .

وفى ايام الأيوبيين أنشئت حول قبة الامام الشافعى جملة قبور اطلق عليها القرافة الصغرى وتضاءل الدفن بالقرافة الكبرى الى أن عاد اليها فى ايام السلطان الناصر ابن قلاوون . واخذ الناس يدفنون موتاهم بعد عام ١٣٠٠ تحت سفح المقطم فيما يلى قلعة الجبـــل . ثم انتشرت القرافات فى شرقى القاهرة وفى شمالها . بين باب الوزير وباب النصر الى باب شرقى باب الحسـينية ومنها الى العباسية الشرقية .

وكان للقرافة الكبرى خنـــدق حفر حولها وحول الفسطاط وكان ذلك فى عام ٦٥ هـ / ٦٨٥ حينما خشى الوالى هجوم مروان على مصر من تلك الجهة ، وفى ٨١٥ م طمى هذا الخندق ثم أعيد حفـــره فى أثناء فترة الشقاق بين الأمين والمأمون .

حـــريق الفســـطاط

حدث للفسطاط فى أثناء حياتها انقلابان عظيمان هما قيام ضاحية العسكر ، ثم مدينة القطائع وجاءت المرحلة النهائية للفسطاط عقب ذلك فى مناسبتين كانت الأولى فى أيام الشدة العظمى فى أثناء خلافة المستنصر بالله الفاطمى .

وكانت الثانية حريق مصر فى وزارة شاور فى اثناء خلافة العاضد ، اما المناسبة الأولى فكانت عندما تمرد الجند وساد الاضطراب وحلت بالبلاد المسغبة والمجاعة ولجأ المستنصر بالله الى حاكم الشـــام بدر الجمالى . فكتب اليــه سرا يستقدمه الى مصر لتدبير الأحوال ، فلما قدم بدر اهتم بتحسين القاهرة وعمل على تخريب الفسطاط . فقد اباح للجند وللقادرين على البناء ان يعمروا ما شاءوا فى القاهرة وغيرها فعمرت وسكنها الناس ولم يبقوا شيئا فى الفسطاط أو العسكر أو القطائع وتركوا موقعها موحشا مقفرا .

أما المناسبة الثانية فهى حريق الفسطاط الهائل الذى امر باضرامه شاور سنة ٥٦٥ لما غزا ملك بيت المقدس عمورى (املريك) الديار المصرية عندما عجز عن الدفاع عنها واراد ان يتجنب وقوعها فى ايدى الصليبيين .

امر شاور باخلاء الفسطاط وحرقها ويقول المقريزى : « بعث شاور الى مصر بعشرين الف قارورة نفط وعشرة آلاف مشـــعل نار فرقت فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا . واستمرت النار تأتى على مساكن مصر فى اليوم التاسـع والعشرين من صفر لتمام اربعة وخمسين يوما .

ومن ثم تحولت مصر الى الأطلال المعروفة الآن بكيمان مصر ، فلمـا حدث الحريق رحـــل عمـــورى من بركة

الحبش [1] ونزل بظاهر القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل أهلها قتالا عنيفا .

ولما جاء صلاح الدين الأيوبى أراد أن يجمع بين القاهرة وما بقى من الفسطاط بسور واحد . فانتقلت الحركة التجارية الى ساحل النيل حيث كانت ترسو السفن وتكثر المخازن والمصانع ، وقد قال ابن سعيد المغربى اذ ذاك : « وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة » .

ولقد ترك لنا ابن دقماق والمقريزى والقلقشندى الى جانب ما كتبه ابن سعيد عن مدينة الفسطاط فى القرن التاسع الهجرى معلومات ضافية تتفق فى أن تدهور المدينة كان يزداد قرنا بعد قرن وفى العبارة الآتية لخص القلقشندى المحن التى نزلت بالفسطاط فقال :

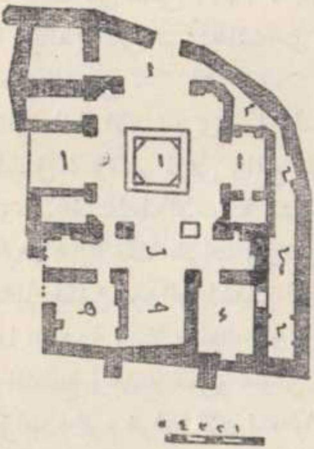
« ولم يزل الفسطاط زاهى البنيان نامى السكان الى أن كانت دولة الفاطميين بالديار المصرية وعمرت القاهرة فتقهقر حاله وتناقص . وأخذ سكانه فى الانتقال الى القاهرة وما حولها فخلا من اكثر سكانه . وتتابع الخراب فى بنيانه

(١) كانت هذه البركة واقعة جنوب مدينة مصر بين النيل والجبل وكانت تطلق على حوض من الأراضى الزراعية التى يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنويا . وكانت تشغل فى الأراضى مساحة قدرها ١٥٠٠ فدان ـ تعليق الأستاذ محمد رمزى ـ النجوم الزاهرة جـ ٦ ص ٣٨١ و ٣٨٢

الى أن بلغ الفرنج اطراف الديار المصرية فى ايام العاضد آخر الخلفاء الفاطميين » .

وعلى هذه الحالة تحولت الميناء النهـــرية والعاصمة الاسلامية الأولى الى أكوام من التراب وتلال من الأنقاض حتى أتاح الله للفسطاط العالم الأثرى الجليل الأستاذ على بهجت ، فكشف فيما بين عامى ١٩١٢ ، ١٩١٣ اجزاء كبيرة من تلك المدينة البائدة التى لم يتخلف من بقاياها الا جامع عمرو وأبراج قصر الشمع .

ومن يزور الفسطاط الآن ، يرى أنها تنقسم قسمين : قسم شرقى مجاور للجبل ، وقسم غربى واقع على النيل . فأما القسم الشرقى وهو الفسطاط الأصلية التىوقع فيها الحريق فى عام ٥٦٤ هـ/١١٦٨ ، فكله خراب وأرض مشغولة بالتلال والكيمان ، ويتخلل بعض أجزائها الحفائر التى عملت للكشف عن بعض دورها االقديمة ، ولا يوجد الآن فى هذا القسم من المبانى الا قصر الشمع وجامع عمرو ، ومن الأمكنة المسكونة خط كوم ابن غراب (كوم غراب الآن) . وأما القسـم الغربى من الفســطاط فهو الذى يعــرف اليوم بمصر القديمة ، ويسميها العامة « مصر عتيقة » ويحده من الشرق القسم الشرقى السابق التحدث عنه ، ومن الشمال المكان المقام عليه الآن قناطر مجرى الماء المعروفة بحائط العيون والتى تنتهى من الغرب بسواقى مجرى الماء المعروفة بسواقى العيون بفم الخليج ، ومن الغرب مجرى سيالة جزيرة الروضة .



احدى دور الفسطاط وهى على صغرها
من الأمثلة الكاملة المتقنة . « على بهجت »

العلم والعلماء فى الفسطاط

اصبحت مصر منذ دخول العرب اليها مركزا علميا فى الدولة الاسلامية . كما هى مركز سياسى ، فكان للمصريين شأن واضح فى علم القراءات وكانوا اســاتذة القراء فى الأندلس والمغرب . وكان من أقدم علماء الحديث عبد الله ابن وهب المصرى صاحب كتاب « الجامع فى الحديث » .

وممن نبغوا فى علوم الدين فى المدرسة المصرية فى فجر الاسـلام أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة [1] . والليث ابن سعد بن عبد الرحمن الأصـبهانى الأصل المصرى المولد [2] وكان ثقة كثير الحديث صحيحه اشتغل بالفتوى فى زمانه ، وقال قائل حين مات :

ذهب الليث فــلا ليث لكم
ومضى العــلم غريبا وقبر

---

(١) الفقيه الحضرمى المصرى الذى ولد حوالى عام ٩٧ هـ وولى قضاء مصر عشر سنين . ومات بها فى منتصف شهر ربيع الأول سنة ١٧٤ هـ (ابن خلكان : وفيات الاعيان ، ج ١ ص ٣١٣) .

(٢) ولد بمصر فى قرقشنده بأسفل مصر (القليوبية) سنة ٩٤ هـ وتوفى سنة ١٧٥ هـ . راجع مصر فى فجر الاسـلام ص ٣١٧ للدكتورة سيدة اسماعيل كاشف .

وكذلك وفد الامام الشافعى على مصر ، واخذ عنه المصريون طريقته فى المناظرات الفقهية والكتابة العلمية ، ولكنه تأثر بمصر وكون مذهبه الجديد فيها وقويت مدرسته بها .

ولد الشافعى فى رجب سنة ١٥٠ هـ بغزة ، ولما بلغ من العمر تسع سنين كان قد أتم حفظ القرآن كله ، ثم جالس العلماء فى المسجد الحرام ليحفظ الحـديث وعلوم القرآن وغيرها ، وعرف بقوة الذاكرة والذكاء المفرط والفهم السريع ، وبعد أعوام قصد المدينة حيث اتصل بالامام مالك وقرأ عليه الموطأ فى ايام يسيرة وحفظه عن ظهر قلب . ثم رحل الى الكوفة وسـاح فى بلاد فارس وما حولها من العواصم ، وسافر الى ديار ربيعة ومضر ومنها رحل الى شمال العراق حتى وصل الى جنوب بلاد الروم ، وعرج على حران ثم سافر منها الى فلسطين واقام فى الرملة اياما ثم قصد ثانية المدينة المنورة حيث قابل ثانية الامام مالك .

ولم يمض على الشافعى زمن طـويل بعد عودته الى المدينة حتى جاءت الأخبار من مصر بوفاة الامام الليث بن سعد فى نصف شعبان سنة ١٧٥ هـ . فحزن لوفاته مالك والشافعى ، وأقام الشـافعى بعد ذلك فى المدينـة أربع سنوات واشهرا الى أن توفى الامام مالك (١٧٩ هـ) ودفن

بالبقيع فى ظاهر المدينة . وكان عمر الشافعى عامئذ ٢٩ سنة تقريبا .

رحل الى اليمن وتزوج وكان مثلا أعلى للحياة الزوجية الطاهرة . وهناك علت مكانته وارتفع قدره فى العلوم والمعارف ، سواء كانت فقهية أو رياضية أو فلسفية أو طبية أو فلكية الخ ، ثم وشى به لدى الخليفة هارون الرشيد الذى أرسل احد قادته لاعتقال جماعة من العلويين ومن بينهم الشافعى ونقلوهم الى بغداد ثم حملوه وهو مثقل بالحديد الى حضرة الخليفة ، وبعد حديث دينى دار بين الرجلين أمر هارون بمنحه ألفى دينار . فنهض الشافعى شاكرا ثم استأذن فى الانصراف فأذن له وخرج ووزع المال على المحتاجين الذين قابلهم فى الطريق .

واقام الشافعى فى بغداد يجالس علماءها فاتسعت حلقة طلابه فأوغر بذلك صدور بعض علماء العراق ، ولكن بالرغم من ذلك ازدادت مكانة الشافعى عند الخليفة ، وأصبح فى بغداد موضع اكرام امرائها وعلمائها وسادتها ، وعلى رأسهم الامام ابن حنبل ، وفى تلك الفترة أتم الشافعى تأليف كتابه الزعفران .

عاد الشافعى الى مكة واقام فيها سبع عشرة سنة يعلم الناس وينشر مذهبه الى أن تاقت نفسه الى بغداد فرجع اليها واقام بها مدة قصيرة ، حتى رأى السفر الى مصر مع العباس بن موسى والى مصر الجديد ـ فخرج أهل

بغداد لوداعه ، وفى مقدمتهم الامام أحمد بن حنبل ، فمسك الشافعى بيد ابن حنبل ساعة الوداع وقال :

لقد أصبحت نفسى تتوق الى مصر
ومن دونها ارض المهامة والفقر
والله لا ادرى اللعز والغنى
اساق اليها أم أساق الى القبر

وفى ٢٨ من شوال سنة ١٩٨ هـ دخل الشافعى مصر مع العباس بن موسى ونزل عند أهله من الأزد . ثم ابتدأ فى القاء دروسه بجامع عمرو بن العاص ، فنبغ عليه كثير من المصريين والمصريات ، ووضع الشافعى فى مصر كتبه الجديدة ، وكانت نحو عشرين كتابا منها كتاب الأم ، والاملاء الصغير ، والأمالى الكبرى ، ومختصر الربيع ، ومختصر المازنى ، ومختصر البويطى ، وكتاب الرسالة ، وعلم أصول الفقه .

اما مذهب الشافعى فهو التوفيق بين النص والقياس ، وذلك اذا وجد سبيلا قويما والا عول على ظاهر النص من الكتاب والسنة بغير ميل الى التأويل مطلقا . وأما رأيه فهو التمسك بالسنة الصحيحة تمسكا خاليا من الفرض والأهواء .

واقام الشافعى فى مصر خمس سنين وتسعة اشهر يعلم الناس العلم ويؤلف كتبه الجديدة وينشر مذهبه بين الناس . وفى نهاية هذه المدة أصيب بمرض البواسير ولما اشتد عليه

غالبه الموت فتوفى فى ليلة الجمعة الأخيرة من شــهر رجب سنة ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) بعد العشاء الأخيرة .

وكان مركز الحركة العلمية الدينية فى مصر وقلبهـا النابض فى ذلك العهد جامع عمرو بن العاص مثله فى هذا مثل الأزهر الشريف فيما بعد . فكان جامع عمرو ملتقى العلماء والفقهاء والأئمة ، واليه يلجأ النـاس للاستفتاء ، واليه يفد الطلاب لتلقى العلوم التى كانت تدرس فى ذلك الحين ، ومنه يتخرج خيرة العلماء والفقهاء [١] .

ولقــد كان لمصر سـبق ملحوظ فى ميدان التصوف الاسلامى . فالمعـروف أن أبا الفيض ثوبان بن ابراهيم المصرى المعروف بذى النون ، كان أوحد وقته علما وورعا وأدبا وزهدا ، وهو من أقطاب الصوفية وله فضل كبير فى وضع كثير من التعاليم الصوفية ، واليه ينسب القول بأن الوجد ، وليس العلم ، هو السـبيل الوحيــد لمعرفة الله المعرفة الحقيقيــة .

ولد ذو النون بأخميم حوالى عام ١٨٠ هـ (٧٤٦ م) . ويقال ان سعدون الصـــوفى المصرى كان معلمه ورائده الروحى . سافر الى مكة ودمشق وزار بعض النساك . وقد تحدث ذو النون عن أسفاره للبحث عن سبل الخلاص

---

(١) راجع فصل الحركة العلمية فى كتاب الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف – ص ٣١٤ – ٣٣٦

قال : « لقد حصلت فى أول أسفارى علما يرضى الخاصة والعامة . وحصلت فى ثانيهـا علما يرضى الخاصـة دون العامة ، وفى ثالث أسفارى حصلت من العلم ما لم ترض به لا الخاصة ولا العامة فغدوت شريدا طريدا . لقد حصلت من العلم فى المرة الأولى التوبة وهى مقبولة لدى الخاصة والعامة على حد سواء ، وفى المرة الثانية وصلت الى التوكل على الله ومعاملته ومحبته وهى شئون تتقبلها الخاصة ولا تفهمها العامة ـ وفى المرة الثالثة وصلت الى الحقيقة التى تسمو على العلم والعقل فأعرضا عنها ولم يتفهماها »[1] .

وكانت المعرفة هى أهم موضوع فى تعاليم ذى النون ، كما أنه كان من أوائل الصوفيين الذين تعرضوا للكلام عنها . فقد قال بأن المعرفة بالله ثلاث ، أولاها هى معرفة التوحيد التى هى ملك لكل المؤمنين ، وثانيتها معرفة الحجة والبيان ، وثالثتها معرفة صفات الوحدانية[2] .

وكان التاريخ اهم ما ساهمت به مصر فى روضة الأدب الاسلامى . ولا منازع فى ان المرجع الوحيد الذى يستند اليه فى معرفة تاريخ مصر الاسلامية من بداية الفتـح

---

(١) مقال « ذو النون المصرى » بقلم الدكتورة مارجريت سميث ـ مجلة الأدب والفن عدد ٣ عام ١٩٤٣ (السنة الأولى) ص ٥٤ ـ ٦٣

(٢) توفى ذو النون بمدينة الجيزة فى سنة ٢٤٥ هـ \ ٨٥٩ م .

الاسلامى انما هو كتاب « الولاة والقضاة » للكندى [1] الذى وفق الى طبعه المستشرق الانجليزى جست ، وقد نقل عنـه المؤرخون الذين جاءوا بعـده الكثير مما دونه فى موسوعته . ولا ريب أنه سبقهم الى الكتابة فى خطط مصر وآثارها وفى تاريخ قضاتها . وقد حذا حذوه فى الموضوع الاول ابن زولاق والقضـاعى وابن دقمـاق والمقريزى والأوحدى والسيوطى ونسـج على منواله فى الكتابة عن القضاة ابن زولاق وابن حجر العسقلانى وابن شاهين .

ويوجد مؤرخ مصرى آخر هو ابن عبد الحكم [2] المتوفى فى الفسطاط (٨٧١ م) ويعد مؤلفه « فتوح مصر والمغرب » مرجعا قيما لتاريخ مصر الاسلامية ، بل وتاريخ العرب فى مصر والمغرب ، وهو أقـدم مؤرخ مصرى لمصر الاسلامية ولخطط مصر .

---

(١) ولد أبو عمر محمـد بن يوسف الكندى بالفسطاط فى سنة (٢٨٣ هـ – ٨٩٧ م) ، وتوفى سنة (٣٥٠ هـ – ٩٦١ م) وكان حجة ثقة فى معرفة أحوال مصر وأهلها وأعمالها وثغورها .

(٢) هو المؤرخ أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم كان متضلعا فى الشريعة الاسلامية ، وقد أثار سخط ابن طولون عليه حين رفض الموافقة على قرار الجمعية التى عقدها ابن طولون لخلع ولى عهد الدولة العباسية – انظـر كتاب استخدام المصادر وطرق البحث للدكتور على ابراهيم حسن . ص ١٢٧ – ١٢٨

وكتب بعد الكندى مؤرخان مصريان كبيران ، هما الفقيه أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق الليثى المصرى ، والأمير المختار عز الملك المسيحى ، وولد أولهما بالفسطاط سنة (٣٠٦ هـ / ٩١٨ م) وقد أدرك انشاء القاهرة المعزية وتوفى سنة (٣٧٨ هـ / ٩٩٧ م) وقد عنى بتاريخ مصر وألف كتابا فى سيرة الاخشيد وكتبا فى فضائل مصر وفى خطط مصر ، وكتبا أخرى فى سيرة جوهر وسيرة المعز وسيرة العزيز [1] .

(١) الدكتورة سيدة اسماعيل كاشف : مصر فى عصر الاخشيديين . ص ٣٢٩

الفسطاط والرحالة

مشـــاهدات ناصر خسرو

فى طليعة الرحالة المسلمين الذين زاروا مصر ووصفوا أحوالها أثناء العصر الفاطمى ـ ناصر خسرو . فقد خلف وصفا جيدا لرحلته يحمـــل على القول بأنه كان يدون مشاهداته أولا فأولا . وحسبنا أن نشير هنا الى وصفه القاهرة والفسطاط وكلامه عن حضارة مصر فى عصر الخليفة المستنصر بالله ، وعنايته بدراسة الأعياد والحفلات والفنون والأسواق والعادات الشعبية .. الخ[1] .

---

(١) ولد ناصر سنة ٣٩٤ هـ (١٠٠٣) فى بلدة من أعمال بلخ وتأدب على بعض العلماء وقام فى شبابه بأسفار عديدة فى أنحاء ايران وتركستان والهند وبلاد العرب لم استقر فى منصب كبير فى ديوان السلاجقة بمرو ، وظل يعيش عيشـــة ترف وبطالة حتى عام ٤٣٧ هـ (١٠٤٥) ثم ضحى بمنصبه وبدأ حياة جد وسفر وعلم ، فسافر لتأدية فريضة الحج وقام برحلات طويلة فى بلاد الشرق الوسيط بين عامى ١٠٤٥ ، ١٠٥٢ ، ولما عاد الى وطنه كان قد ترك مذهبه السنى وأصبح من أشد دعاة الاسماعيلية والمتعصبين للفـــاطميين ، ولكن السلاجقة لاحظوا خطر هـــذه الدعوة فاضطهدوه واضطروه الى الفرار الى بلاد ما وراء النهر ، حيث توفى سنة ٤٥٣ هـ (١٠٦١) .

وقد ترجمت رحلة ناصر خسرو الى الفرنسية والعربية [1] ، واصبحت مرجعا اساسيا فى دراسة الحضارة الاسلامية فى الشرق الاسلامى فى القرن الخامس الهجرى ، ويعد الجزء الخاص من وصف مصر فى رحلته من اكثر المصادر التاريخية امتاعا واعظمها شأنا فى بيان حال البلاد قبل القحط أو الشدة العظمى التى حلت بها فى نهاية عصر الخليفة المستنصر بالله .

اقام ناصر فى مصر فيما بين ٧ صفر ٤٣٩ هـ وأواخر جمادى الثانى ٤٤٢ هـ (١٠٤٧ – ١٠٥٠) فكأنه أقام فيها ثلاث سنوات وثلاثة اشهر ، ودوّن مشاهداته بدقة واسهاب ، فوصف الحياة العقلية وتحدث عن الأزهر ودار الحكمة وجامع عمرو وعن العلماء والفقهاء ودعاة الفواطم كما انه درس الحياة الاجتماعية عن كثب وأطنب فى التدليل على ثروة البلاد ورخائها ، ووصف القاهرة وصفا شائقا كما انه عرج على الفسطاط حيث كانت الحركة التجارية والصناعية فأسهب فى الكلام على أحوالها وبيوتها وجوامعها وحدائقها وصناعتها وأسواقها ، كما انه أشار الى صناعة

---

(١) سفرنامه نقله الى العربية وقدم له وعلق عليه الدكتور يحيى الخشاب . رحلة تقع حوادثها بين سنة ٤٣٧ هـ (١٠٤٥) وسنة ٤٤٤ هـ (١٠٥٢) . مطبوعات معهد اللغات الشرقية ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، ١٩٤٥

الخزف فى العصر الفاطمى ، حتى أصبحت ملاحظاته وآراؤه عن الآثار والفنون فى رحلته مرجعا أساسيا للمشتغلين بالفن الاسلامى ، فقال ان المصريين كانوا يصنعون أنواع الخزف المختلفة ، وأن الخزف المصرى كان رقيقا وشفافا ، والطريف ان ما وصل الينا من التحف الفنية الفاطمية يؤيد تماما ما كتبه ناصر خسرو فى هذا الحقل .

جاء ناصر خسرو الى مصر عن طريق شمالى سيناء مارا بطينة وهى مرفأ للسفن ثم وصل الى جزيرة تنيس التى وصفها الرحالة وصفا مسهبا ، كانت تنيس من أجل مدائن مصر بالبحيرة التى تعرف اليوم باسم المنزلة ، وكان لها تسعة عشر بابا مصفحة بالحديد . وكان بها عدة مساجد ـ نحو مائة وستين مسجدا ـ وبكل مسجد منارة ، وكان بها ستة وثلاثون حماما ، وكان بها مائة معصرة للزيت والشيرج والقصب ، وكان بها من الحوانيت ألفان وخمسمائة حانوت وكان بها من المناسج للقماش نحو خمسة آلاف منسج يصنعون بها الثياب الشرب التى لا يصنع مثلها فى الدنيا وكانوا ينسجون بها أثوابا تسمى البدنة تنسج بالذهب صناعة محكمة يباع الثوب منها بمائة دينار ، وكانت تحمل منها الى بغداد ، ولم تزل مدينة عامرة الى سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة (١١٧٧) حتى جاء اليها نحو أربعين مركبا موسوقة جماعة من الفرنج فحاصروا أهلها ، فلما اشرفوا على أهل المدينة هرب أهلها الى ثغر دمياط وتركوا

المدينة ، فاستولى عليها الفرنج وملكوها ونهبوا ما فيها ثم القوا فيها النار فاحترقت كلها ثم اخذوا ما قدروا عليه من الغنائم وتركوا المدينة خرابا ورحلوا عنها واستمرت على ذلك الى سنة أربع وعشرين وستمائة (١٢٢٦) فى دولة الملك الكامل محمد بن أيوب فأمر بهدم ما بقى من سورها وبيوتها واستمرت خرابا من يومئذ الى الآن .

غادر ناصر مدينة تنيس وسارت سفينته فى النيل حتى وصل الى الصالحية وكانت فى ذلك الحين تصنع السفن وتنقل العروض الى مدينة مصر ، ثم بلغ قرب القاهرة ، وفى يوم الأحد السابع من صفر ٤٣٩ (٤ اغسطس ١٠٤٧) كان بالقاهرة .

واليك ما كتبه ناصر خسرو عن مصر والفسطاط :

« شيدت مصر على ربوة ، وجانبها الشرقى جبلى يتكون من جبال حجرية غير عالية كالتلال ، وفى طرف المدينة جامع ابن طولون ــ وهو مشيد على ربوة وله جدران محكمة ، ولم ار اعظم منها غير جدار آمد وميافارقين . وقد بناه أمير من امراء العباسيين كان حاكما على مصر . وفى ايام الحاكم بأمر الله باعه أحد أحفاد ابن طولون بثلاثين الف دينار مغربى . وبعد مدة شرعوا فى هدم المئذنة بحجة أنها لم تبع ، فأرسل لهم الحاكم قائلا : « لقد بعتمونى هذا المسجد فكيف تهدمونه ؟ » فأجابوا : « نحن لم نبع المئذنة » فأعطاهم خمسة آلاف دينار ثمنا لها . وكان

السلطان يصلى فى هذا المسجد طوال شهر رمضان ، وأيام الجمع من بقية الشهور .

ومدينة مصر مشيدة على ربوة ، خشية فيضان الماء عليها ، وهذه الربوة كانت مغطاة ، فى وقت ما ، بأحجار كبيرة جدا . فكسرت وسويت ، ويقال للأماكن التى لم تسو « عقبة » وتبدو مصر كأنها جبل ، حين ينظر اليها من بعيد .

وبمصر بيوت مكونة من أربع عشرة طبقة ، وبيوت من سبع طبقات وسمعت من ثقات أن شخصا غرس حديقة على سطح بيت من سبعة أدوار ، وحمل اليها عجلا رباه فيها حتى كبر ، ونصب فيها ساقية كان هذا الثور يديرها ويرفع الماء الى الحديقة من البئر ، وزرع على هذا السطح شجر النارنج والموز وغيرهما . وقد اثمرت كلها ، كما زرع فيها الورد والريحان وأنواع الزهور الأخرى .

وسمعت من تاجر ثقة أن بمصر دورا كثيرة فيها حجرات للاستغلال - اى للايجار - ومساحتها ثلاثون ذراعا فى ثلاثين ، وتسع ثلاثمائة وخمسين شخصا ، وهناك اسواق وشوارع تضاء فيها القناديل دائما لأن الضوء لايصل الى أرضها ويسير فيها الناس .

وفى مصر سبعة جوامع ، غير جوامع القاهرة ، والمدينتان متصلتان ، وفيهما معا خمسة عشر جامعا

(مسجد جمعة) وذلك لتلقى خطبة الجمعة والصلاة فى كل حى منهما .

وفى وسط سوق مصر جامع يسمى « باب الفتوح » شيده عمرو بن العاص ، أيام امارته على مصر من قبل عمر ابن الخطاب ، وهذا المسجد قائم على أربعمائة عمود من الرخام . والجدار الذى عليه المحراب مغطى كله بالواح الرخام الأبيض التى كتب القرآن عليها بخط جميل ، ويحيط بالمسجد ، من جهاته الأربع ، الأسواق ، وعليها تفتح أبوابه ويقيم بهذا المسجد المدرسون والمقرئون ، وهو مكان اجتماع سكان المدينة الكبيرة ولا يقل من فيه ، فى أى وقت ، عن خمسة آلاف ، من طلاب العلم والغرباء والكتاب الذين يحررون الصكوك والعقود وغيرها . وقد اشترى الحاكم بأمر الله هذا المسجد من أبناء عمرو ابن العاص ، وكانوا قد ذهبوا اليه وقالوا : « نحن فقراء معوزون وقد بنى جدنا هذا المسجد فاذا أذن السلطان نهدمه ونبيع أحجاره ولبناته » ، فاشتراه الحاكم بمائة الف دينار ، واشهد على ذلك كل اهل مصر ، ثم أدخل عليه عمارات كثيرة وعجيبة منها ثريا فضية لها ستة عشر جانبا ، كل جانب منها ذراع ، ونصف دائرتها أربع وعشرون ذراعا.

ويوقدون فى ليالى المواسم اكثر من سبعمائة قنديل . ويقال ان وزن هذه الثريا خمسة وعشرون قنطارا فضية ، كل قنطار مائة رطل وكل رطل أربعة واربعون ومائة درهم .

ويقال انه حين تم صنعها لم يتســـع لها باب من أبواب المسجد لكبرها ، فخلعوا بابا وادخلوها منه ثم ردوا الباب مكانه . ويفرش هذا المسجد بعشر طبقـات من الحصر الجميل الملون بعضها فوق بعض ، ويضاء كل ليلة بأكثر من مائة قنديل . وفي هذا المسجد يجلس قاضي القضاة .

وعلى الجانب الشمالي للمسجد سوق يسمى « سوق القناديل » لا يعرف سوق مثله في اى بلد ، وفيه كل ما في العالم من طرائف . ورأيت هناك الأدوات التي تصنع من الذبل كالأوعيــة والأمشاط ومقابض السكاكين وغيرها . ورأيت كذلك معلمين مهرة ينحتون بلورا غاية في الجمال ، وهم يحضرونه من المغرب ، وقيل انه ظهر حديثا عند بحر القلزم ، بلور الطف واكثر شفافية من بلور المغرب ، ورأيت انياب الفيل أحضرت من زنجبار ، وكان وزن كثير منهــا يزيد على مائتي من ، كما أحضر جلد بقــر من الحبشـــة ، يشبه جلد النمر ، ويعملون منه النعال . وقد جلبوا من الحبشة طائرا اليفا كبيرا ، به نقط بيضاء وعلى رأسه تاج مثل الطاووس ، وتنتج مصر عسلا وسكرا كثيرا . ورأيت في يوم واحد هذه الفواكه والرياحين : الورد الأحمـــر والنيلوفر والترجس والنرنج والنارنج والليمون والمركب والتفاح والياسمين والريحان الملكي والســفرجل والرمان والكمثرى والبطيخ والعطــر والموز والزيتــون والبليلج (الاهليلج) والرطب والعنب وقصــب السكر والباذنجان

والقرع واللفت والكرنب والفول الأخضر والخيار والقثاء والبصل والثوم والجزر والبنجر .

وكل من يذكر كيف تجتمع هذه الأشياء ، التى بعضها خريفى وبعضها ربيعى ، وبعضها صيفى ، وبعضها شتوى ، لايصدق هذا . ولكن ليس لى قصد فيما ذكرت ، ولم أكتب الا ما رأيت ، واما ما سمعته ثم كتبته ، فليست عهدته علىّ ، وولاية مصر عظيمة الاتساع ، بها كل انواع الجو من البارد والحار . وتجلب كل الحاجيات لمدينة مصر من جميع البلاد ويباع بعضها فى الأسواق .

ويصنعون بمصر الفخار من كل نوع ، وهو لطيف وشفاف بحيث اذا وضعت يدك عليه من الخارج فظهرت من الداخل ، وتصنع منه الكؤوس والأقداح والأطباق وغيرها وهم يلونونها بحيث تشبه البوقلمون فتظهر بلون مختلف فى كل جهة تكون بها ، ويصنعون بمصر قوارير كالزبرجد فى الصفاء والنظافة ويبيعونها بالوزن .

وسمعت من بزاز ثقة ان وزن الدرهم الواحد من الخيط يشترى بثلاثة دنانير مغربية وهى تساوى ثلاثة دنانير ونصف نيشابورية . وقد سألت فى نيشابور بكم يشترون أجود الخيط ؟ فقالوا ان الخيط الذى لا نظير له يشترى الدرهم منه بخمسة دراهم .

ومدينة مصر ممتدة على شاطىء النيل الذى عليه القصور والمناظر الكثيرة بحيث اذا احتاجوا الى الماء رفعوه

بالحبال من النيل ، أما ماء المدينة فيحضره السقاءون من النيل أيضا ، ويحمله بعضهم على الابل وبعضهم على كتفه ورأيت قدورا من النحاس الدمشقى ، كل واحد منها يسع ثلاثين منًا ، وكانت من الطلاوة بحيث تظنها من ذهب . وقد حكوا لى أن امرأة تملك خمسة آلاف قدر وأنها تؤجر الواحد منها بدرهم فى الشهر ، وينبغى أن يردها المستأجر سليمة .

وأمام مصر جزيرة ، وسط النيل ، كان عليها مدينة فى وقت ما ، والجزيرة غربى المدينة ، وبها مسجد جمعة وحدائق ، وهى صخرة وسط النهر ، تقسمه قسمين ، كل منهما فى اتساع جيحون ، ولكن أكثرها هدوءا وبطئا فى جريانه ، وثبت بين الجزيرة والمدينة جسر من ست وثلاثين سفينة .

ويقع جزء من مدينة مصر على جانب النيل الآخر ، ويسمونه الجيزة ، وبها مسجد لصلاة الجمعة . ولكن ليس بها جسر ، ولذا يعبر الناس بالزوارق أو بالمعابر وهى كثيرة فى مصر ، أكثر مما فى بغداد أو البصرة .

وتجار مصر يصدقون فى كل ما يبيعون ، واذا كذب احدهم على مشتر فانه يوضع على جمل ، ويعطى جرسا بيده ، ويطوف به فى المدينة وهو يدق الجرس وينادى قائلا : قد كذبت وها أنا أعاقب ، وكل من يقول الكذب فجزاؤه العقاب .

ويعطى التجار فى مصر ، من بقالين وعطـارين وبائعى خردوات الأوعية اللازمة لما يبيعون ، من زجاج أو خزف أو ورق ، حتى لا يحتاج المشترى أن يحمل معه وعاء .

ويستخرجون من بذور الفجل واللفت زيتا للمصابيح يسمونه « الزيت الحار » ، والسمسم هناك قليل وزيته عزيز ، وزيت الزيتون رخيص . والفستق أغلى من اللوز ولا تزيد العشرة أمنان من اللوز المقشور على دينار واحد .

ويركب أهل السوق وأصحاب الدكاكين الحمر المسرجة فى ذهابهم وايابهم من البيوت الى السوق ، وفى كل حى على رأس الشوارع ، حمر كثيرة عليها برادع مزينة ، يركبها من يريد ، نظير أجر زهيد . وقيل انه يوجد خمســون ألف بهيمة مسرجة تزين كل يوم وتكرى . ولا يركب الخيل الا الجند والعسكر ، فلا يركبها التجار او القرويون أو أصحاب الحرف ، ويركبها العلماء ، ورأيت كثيرا من الحمر البلق كالخيل بل أجمـل .

وكان أهل مدينة مصر فى غنى عظيم حين كنت هناك .

وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة (١٠٤٧ م) ولد للسلطان ولد ، فأمر الناس باقامة الأفراح ، فزينت المدينة والأسواق زينة لو وصفتها لما اعتقد بعض النـاس صحة ما أقول ، ولما صدقونى . فقــد كانت دكاكين البزازين والصرافين وغـيرهم مملوءة بالذهب والجواهر والنقد

والأمتعة المختلفة ، والملابس المذهبة والمقصبة ، بحيث لا يوجد فيها متسع لمن يريد أن يجلس .

وكان الناس جميعا يثقون بالسلطان ، فلا يخشون الجواسيس ولا الغمازين معتمدين على أن السلطان لا يظلم احدا ولا يطمع فى مال احد . ورأيت أموالا يملكها بعض المصريين ولو ذكرتها أو وصفتها لما صدقنى الناس فى فارس ، فانى لا استطيع أن أحدد أموالهم أو أحصرها . اما الأمن الذى رأيته هناك فانى لم أره فى بلد من قبل .

وقد رأيت هناك نصرانيا من سراة مصر ، قيل أن مراكبه وأمواله وأملاكه لا يمكن أن تعد . وحدث فى سنة ما أن كان النيل ناقصا ، وكانت الغلة عزيزة فأرسل الوزير الى هذا النصرانى وقال : « ليست السنة رخاء ، والسلطان مشفق على الرعية ، فاعط ما استطعت من الغلة ، اما نقدا واما قرضا » قال النصرانى : « أسعد الله السلطان والوزير ان لدى من الغلة ، ما يمكننى من اطعام أهل مصر الخبز ست سنوات » . ولا شك أن سكان مصر ، فى ذلك الوقت ، كانوا كثيرين ، فان سكان نيشابور خمسهم مع الاسراف فى التقدير . وكل من يستطيع الحكم يدرك كم ينبغى أن يكون لهذا الثرى لتبلغ غلته هذا المقدار واى سلام كانت فيه الرعية واى عدل كان للسلطان ، بحيث يكون شعور الناس وأموالهم بهذا القدر . لم يكن السلطان يظلم أو يجور

على أحد ولا كان أحد من الرعية يخفى أو ينكر شيئا مما يملك .

ورأيت هناك رباطا يسمى « دار الوزير » لا يباع فيه سوى القصب . وفى الدور الأسفل منه يجلس الخياطون وفى الأعلى الرفاءون . وسألت القيم عن أجرة هذا الرباط
وفى الأعلى الرفاءون . وسألت القيّم عن أجرة هذا الرباط
الكبير ، فقال : كانت كل سنة عشرين ألف دينار مغربى ، كل شهر ألف دينار . يعنى باثنى عشر ألف دينار فى السنة وقيل أن فى هذه المدينة مائتى رباط أكبر منه أو مثله .

الفسطاط

فى مشاهدات على بن سعيد

اديب كبير ورحالة قدم الى مصر فى عام ١٢٤٦ م ، وبقى فيهـا فترة طويلة فوصف لنا احوال الفسـطاط والقاهرة فى أخريات أيام الأيوبيين والسنوات الأولى من حكم المماليك . نشأ فى بيئة ادبية خالصة ، كما حرص أبوه على اعداده وتثقيفـه ، فأتيح له أن ينهض باتمام كتاب « المغرب » الذى تعاقب على تأليفه ستة من أدباء الأندلس الفوه بالموارثة فى مائة وخمسة عشر عاما ، تناولوه بالتنقيح والاضافة واحدا بعد الآخر [١] .

ولد بقلعة يحصب [٢] فىغرناطة سنة ٦١٠ هـ/١٢١٣ م — ١٤ من قبيلة يمنية احتـل أبناؤها هذا المكان عند فتح الأندلس ، نزل بالاسكندرية لما كان فى التاسعة والعشرين من عمره بصحبة والده وهما فى طريقهما الى مكة ، ويبدو

---

(١) مقدمة كتاب المغرب فى حلى المغرب للدكتور زكى محمد حسن ص ١١ . مطبعة كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٥٣

(٢) تعرف هذه القلعة باسم Alcalà la Real وعرفت أيضا باسم قلعة بنى سعيد . المصدر السابق ص ١٦

أنه كان حسن الصحبة جميل العشرة وأنه خالط أدباء مصر وشعراءها وتعرف دخائلهم .

وكان من حسن حظ على بن سعيد أن قدم الى مصر سنة ٦٤٤/ ١٢٤٦ م القاضى كمال الدين بن العديم رسولا من الملك الناصر يوسف صاحب الشام الى السلطان الصالح نجم الدين أيوب . ولم يكن ابن العديم قطب أهل العلم وزعيمهم فحسب ولكنه كان مقربا من السلطان لمكان أسرته فى البلد جاها وعلما ، واتصل على بن موسى بابن العديم فاختصه بمعروفه وآثره ببره ، وزين له الرحلة الى حلب ولقاء صاحبها الملك الناصر ، فنشط على لفعل ذلك ، وقصد الى بلاط هذا الملك سنة ٦٤٤ هـ/١٢٤٦ م وظل فى حلب تترادف عليه النعم الى أن رحل منها سنة ٦٤٧/ ١٢٤٩ م متجها الى دمشق ، ثم رحل الى بغداد فى السنة التالية ماراً بأرمينيــة وأرجان ، وحج بعد ذلك الى بيت الله الحرام ورجع من الحجاز الى تونس سـنة ٦٥٢ هـ / ١٢٥٤ م حيث نزل عند صديقه أبى العباس التيفاشى ونال الحظوة عند أبى عبد الله المستنصر بالله . وكان بلاط هذا الأمير مقصد العلماء والأدباء والسفراء منذ مد سلطان بنى حفص فى المغرب الأوسط ، واتخذ لنفسه لقب «الخليفة» و « أمير المؤمنين » بعد سقوط بغداد فى يد التتر .

وحن على بن موسى بن سعيد الى المشرق ثانية فرحل اليه سنة ٦٦٦ هـ / ١٢٦٨ وسمع فى الاسكندرية بأعمال هولاكو ، فأحب ان يسعى اليه ، وسافر الى حلب ومنها الى أرمينية حيث أقام فيها مدة ضيفا على هولاكو ، ويبدو انه أوغل فى هذه الرحلة نحو الشرق فوصل الى ايران ، ثم عاد الى تونس وأمضى فيها بقية حياته الى أن أدركته الوفاة فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر .

قام ابن سعيد برحلات طويلة فى ديار الاسلام ، وأفاد من مشاهداته فيما ألف من التاريخ وتقويم البلدان . والراجح انه جال فى غربى افريقية ورأى مصب نهر سنغال ، وربما توغل فى كشف الساحل الافريقى الغربى الى أبعد مما كان معروفا عند الأوروبيين حينذاك [1] . والحق أن لعلى بن موسى بن سعيد منزلة سامية بين الجغرافيين المسلمين ، ولكن حجبتها شهرته بين المؤرخين والأدباء ، بل لقد كان واسع الاطلاع ودقيق الملاحظة فى هذا الميدان ، بحيث سجل بعض الأحداث التى كان لها شأن عظيم فى تطور العمران والتى لم يفطن اليها غيره من المؤرخين والجغرافيين ومن ذلك ما كتبه من هجرات بعض

---

(١) زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ص ١٢١ – ١٢٢

سكان الهند الصينية وجزر الملايو الى افريقية الشرقية [1].

والذين صنفوا كتاب « المغـرب » ولا سيما على بن موسى بن سعيد ـ لم يفيدوا من المصنفات التى اطلعوا عليها ومن الرواية الشفوية فحسب ، بل اعتمدوا على المشاهدة كل الاعتماد . والحق أن المشتغلين بالآثار والفنون الاسلامية يقدرون « كتاب المغرب » حق قدره ، لما يفيـدونه مما سجله فيه على بن موسى بن سعيد معتمدا على المشاهدة . مصداق ذلك عنايتهم بما كتبه فى وصف الفسطاط والقاهرة ، وكان على بن سعيد نفسه يرى أن للمشاهدة شأنا عظيما فى العلم والمعرفة فكان يدون فى المناسبات المختلفة ما يؤيد ذلك . وسيبدو ذلك لنا فيما كتبه وهو يصف ما رآه فى الفسطاط والقاهرة .

جاء فى كتاب « الاغتباط فى حلى مدينة الفسطاط » من كتب المغرب فى حلى المغرب :

من كتاب الكمائم [2] : وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت

---

(1) G. Ferrand : Relations des Voyages et Textes Geographiques Arabes Persans et Turcs relatifs a l'Extreme-Orient. (Paris 1913—1914) t. II pp. 316 et seq.

(٢) هذا الكتاب للبيهقى . وينقل عنه ابن سعيد هنا وفى كتاب القاهرة ، وقد احتفظ المقريزى فى الخطط (طبعة بولاق سنة ١٢٧٠ هـ) جـ ١ ص ٣٤٠ بهذه الفقرة ، واحتفظ بها أيضا المقرى فى النفح (طبعة دوزى وزملائه) جـ ١ ص ٦٨٥

فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس ، وجاء الاسلام وبها مبنى يعرف بالقصر ، حوله مساكن ، وعليه نزل عمرو ابن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع الآن المنسوب اليه ، ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ، ونسبت المدينة اليه ، فقيل فسطاط عمرو . وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر ، فاتخذوها (سرير السلطنة) ، وتضاعفت عمارتها ، فأقبل الناس من كل جانب اليها ، وقصدوا أمانيهم عليها ، الى أن رسخت بها دولة بنى طولون ، فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع ، وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة . وقد امعنت السؤال عنها فأخبرت أنها مدينة مستطيلة ، يمر النيل مع طولها ، وتحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل ومن جنوبه بأنواع الفوائد ، ولها متنزهات . قال ابن سعيد : وسأذكرها فيما بعد . قال : وهى فى الاقليم الثالث ، ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر ، وترابها تثيره الأرجل ، وهو قبيح اللون ، تتكدر منه ارجاؤها ، ويسوء بسببه أهواؤها ، ولها أسواق ضخمة الا انها ضيقة ، ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ، وقد بنيت القاهرة للخلفاء الاسماعيليين المتوثبين عليها من المغرب فضعفت مدينة الفسطاط وفرط فى الاغتباط بها بعد الافراط ، وبينهما نحو ميلين ، وأنشدت فيها للشريف العقيلى :

احن الى الفسطاط شـــوقا واننى
لأدعو لها أن لا يحــــل بها القطر

وهل فى الحيـــا من حاجة لجنابها
وفى كل قطـــر من جوانبها نهـــر

تبدت عروســـا والمقطم تاجهـــا
ومن نيلها عقـــد كما انتظم الدر

كان خبرها (الفسطاط) قد ملأ سمعى من الكتب وما أتلقاه من الحجاج الصادرين وأنا واقف من شأنها بين اختلاف لقلة اتفاق الأغراض وتشتت الأهواء ، فلما وصلت الى الاسكندرية من افريقية ركبت فى الخليج الى النيل الأعظم ، ثم سرت فيه الى ان وصلت الى منية السيرج فى شمالى القاهرة ، فركبت منها فى البر الى القاهرة ، وعاينت ما سأذكره ان شاء الله فى كتاب القاهرة . ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط ، فسار معى اليها أحد أصحاب العزبة (الغربة) ، فرأيت عند باب زويلة من الحمير المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة ، فركبت منها حمارا ، واشار الى ان اركب حمارا آخر ، فأنفت من ذلك ،جريا على عادة ما خلفته من بلاد المغرب ، فأعلمنى انه غير معيب على أعيان مصر . وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والشارة الظاهرة يركبونها ، فركبت فعندما استويت راكبا أشار المكارى على الحمار فطار بى

وأثار من الغبار الأسود ما أعمى عينى ودنس ثيابى وعانيت ما كرهته . ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده ، وقلة رفق المكارى ، وقعت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج وقلت :

لقيت بمصر أشـــد البـــوار
ركوب الحمار وكحـــل الغبار
وخلفى مكار يفـــوق الرياح
ولا يعرف الرفق مهما استطار
أناديه مهـــلا فلا يرعـــوى
الى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى
وألحد فيـــه ضياء النهـــار

فدفعت الى المكارى أجرته ، وقلت له : احسانك الى ان تتركنى أمشى على رجلى ومشيت الى أن بلغتها ، وقدرت فى الطريق بين القاهرة والفسطاط ، وحققته بعد ذلك ، نحو الميلين . ولما اقبلت على الفسطاط أدبرت عنى المسرة ، وتأملت أسوارا مثلمة سوداء ، وآفاقا مغبرة ، ودخلت من بابها ، وهو دون غلق ، يفضى الى خراب مغمـــور بمبان مشتتة الوضع ، غير مستقيمة الشوارع ، قد بنيت من الطوب الأدكن والقصب والنخيـــل ، طبقة فوق طبقة ، وحول أبوابها من التراب الأسود والأزبال ما يقبض نفس النظيف ، ويغض طرف الظـــريف ، فسرت وأنا معاين

لأستصحاب تلك الحال الى أن سرت فى أسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق والروايا التى على الجمال ما لا يفى به الا مشاهداته ومقاساته ، الى ان انتهيت الى المسجد الجامع فعانيت من ضيق الأسواق التى حوله ما ذكرت به ضده فى جامع أشبيلية وجامع مراكش ، ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البنـــاء ، غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه ، وتبسط فيه ، وأبصرت العـــامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق ، والبياعون يبيعون فيه أصناف المكسرات والكعك وما جرى مجـــرى ذلك ، والناس يأكلون منه فى اماكن عدة ، غير محتشمين لجرى العـادة عندهم بذلك ، وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل ، قد جعلوا ما يحصل لهم منها رزقا ، وفضلات مأكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه ، والعنكبوت قد عظم نسجه فى السـقوف والأركان والحيطان . والصـبيان يلعبون فى صحنه ، وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العوام ، الا أن مع هـذا كله ، على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع أشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ، ولقد تأملت ما وجدته فيه من الارتياح والأنس دون منظر يوجب ذلك ، فعلمت أنه سر مودع من وقوف

الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه ، واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المتعددين لقراءة القرآن والفقه والنحو فى عدة أماكن ، وسألت عن موارد ارزاقهم ، فأخبرت أنها من فروض فى الزكاة وما اشبه ذلك ، ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب الا بالجاه والتعب ، فنغص عندى تلك القاعدة التى وجدتها من اجتماع العلماء على ارزاق تفرغ المعلم للتعليم ، وتنشط المتعلم للاستفادة .
ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل ، فرايت ساحلا كدر التربة غير نظيف ، ولا متسع الساحة ، ولا مستقيم الاستطالة ، ولا عليه سور أبيض يبهج العيون بلونه وحسن استقامته ، الا انه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب وأصناف الأرزاق التى تصل من جميع اقطار النيل ، ولئن قلت انى لم أبصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى أقول حقا . والنيل هنالك ضيق يكون الجزيرة التى بنى فيها السلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط ، وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل . وقد ذكر ابن حوقل الجسر الممتد من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ، ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه ، واكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب ، لأن هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان . ولا يجوز احد على الجسر الذى بين

الفسطاط والجزيرة راكبا ، احتراما لموضع السلطان ، وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة [1] مرتفعة على جانب النيـــل ، فقلت :

نزلنا من الفســـطاط أرفع منزل
بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيـــه المراكب سحرة
كسرب قطا أضحى يرف على ورد
واصبح يطفو الموج فيـــه ويرتمى
ويطفو حنـــانا وهو يلعب بالنرد
غـــدا ماؤه كالريق ممن أحبـــه
فمدت عليه حلية من حلى الخـــد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده
فأصـــبح لمـــا زاده المد كالورد

قلت هذا لأنى لم أذق فى الحياة احلى من مائه ، وانه يكون قبل المد الذى يزيد به ، فيفيض على اقطاره ، أبيض ، فاذا جاء عباب النيل صار أحمر ، وقد اكثر الشعراء فى ذكر ذلك ، وتقدم منه ما تقدم ، وانشد فيه علم الدين

---

(١) الطيارة نوع من القوارب كان يجرى فى انهار العراق ، وقد عرف منذ القرن الرابع الهجرى . راجع الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى لادم متز ، جـ ٢ ص ٢٣٣

فخر الترك أيدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط وأهلها :

حبذا الفسـطاط من والدة
جنبـت أولادها در الجفـا
يرد اليهـا النيـل كدرا
فاذا ما زج أهليهـا صـفا
لطفـوا فالمزن لا يالفـهم
فجـلا لمـا رآهم الطفـا

ولم أر فى أهل البلاد ألطف من أهل الفسطاط ، حتى انهم ألطف من أهل القاهرة ، وبينهما نحو ميلين . وجملة الحال ان أهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام، وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدر الصحابة ، وكثرة الممازجة والألفة ما يطول ذكره . ولقد تكررت اليها مرات . وصحبت فيها بتوالى السـنين جملة ناس فما فارقتهـا وأنا راض من أهلها بغير مكارم بنى القسطلانى الفقهاء المالكية ، فانهم يصدقون ويرعون الصحبة ويوفون بالعهد ويؤدون الأمانة ، لا تبرح الأضياف تغشى منازلهم على ما تيسر من مكارمهم فى حالى اليسر والعسر ، وهم فى ذلك على طول الأيام ، لازمين طريقـة واحدة فى الكرم والصبر . ورأيت من شاعرها جمال الدين أبى الحسين الجزار ما لم أره فى كثير من شعراء البلاد وادبائها ، فانه فارقنى بعد صحبة سـنين وانا اشكره واوده أكثر من

شكرى وودى له فى اول سنة صحبته فيها . وطالما قصد القاهرة لاستدعائى الى كرامته بالفسطاط ، وبت عنده فى نهاية من السرور والانبساط ، وكم سعى فى حقى وشهرة ذكرى ، جزاه الله خيرا على بعد داره ، ولا أسمع الا ما يسر من أخباره .

وخرجت معه مرة الى ظاهرة الفسطاط حيث بركة الحبشى التى يقول فيها ابو الصلت [1] :

لله يومـــى ببركـــة الحبش
ونحن بين الضـيـاء والغبش
والنيل تحت الرياح مضطرب
كصـــارم فى يمـــين مرتعش

وعاينت من هذه البركة أيام فيض النيل عليها ابهج منظر ، ثم زرتها أيام غاض معظم الماء وبقيت فيها مقطعات بين خضر من القرط والكتان تفتن الناظر ، وفيها اقول :

يا بركة الحبش التى يومى بها
طول الزمان مبارك وسـعيد
حتى كأنك فى البســيطة جنة
وكأن دهـــرى كله بك عيد

---

(١) هو ابو الصلت امية بن عبد العزيز الاندلسى شاعر وأديب مشهور زار مصر سنة ٤٨٩ هـ / ١٠٩٥ – ١٠٩٦ م وسجن بها ومكث فيها حوالى عشرين سنة وتوفى سنة ٥٢٨ هـ .

ياحسن مايبدو وبكر الكتان فى

نـــواره أو زره معقـــود

والمـــاء منك سيوفه مسلولة

والقرط فيــك رواقه ممدود

ياليت شعرى هل زمانك عائد

فالشوق فيه مبدىء ومعيد

وبت ليالى كثيرة بقرافة الفسطاط ، وهى فى شرقيها ، بها منازل لأعيان الفسطاط والقاهرة وقبور عليها مبان معنى بها ، وفيها القبة العظيمة العالية المزخرفة التى فيها قبر الامام الشافعى رحمة الله عليه ، وبها مسجد جامع ، وترب كثيرة عليها أوقاف للقراء ومدرسة كبيرة للشافعية ولا تكاد تخلو من طرب ولا سيما فى الليالى القمرية ، وهى معظم مجتمعات أهـــل مصر ، واشهر متنزهاتهم ، وفيها أقول :

اذ القرافة قد حوت ضدين من

دنيا واخرى فهى نعم المنزل

يغشى الخليع بها السماع مواصلا

ويطوف حول قبورها المتبتل

كم ليـــلة بتنا بهـــا ومدامنا

لحن يكاد يذوب منه الجنـــدل

والبـــدر قد ملأ البسيطة نوره
فكأنما قد فاض فيها جـدول
وبدا يضاحك أوجها حاكيته
لمـــا تكامل وجهــه المتهلل

واما مايرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجـازى فانه فوق ما يوصف ، وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ، ومنها يجهز الى القـــاهرة وسائر البلاد . وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لأن القاهرة بنيت للاختصاص بالجند ، كما أن جميع « زى » الجند هو بالقاهرة أعظم منه بالفسطاط ، وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الأشـياء الرقيقـة السلطانية . والخراب فى الفسطاط كثير . والقاهرة أجد وأعمر ، واكثر زحمة ، بسبب انتقال السلطان لها ، وسكنى الأجناد فيها . وقد نفخ روح الاعتناء والنمـو فى مدينة الفسطاط الآن . لمجاورتها للجزيرة الصالحية . وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة أو بنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر . وفوق القرافة فى شرقيها جبل المقطم وليس له علو ولا فيه اخضرار ، وانما يقصـد للبركة ، وفى سفحه مقابر أهل الفسطاط والقاهرة .

معالم الفسطاط والروضة

الجامع العتيق

قلنا انه لما فتح عمرو بن العاص مصر ، اختط الفسطاط وانشأ بها سنة ٢١ هـ - (٦٤١ - ٤٢) أول جامع شيد فى وادى النيل ، فعلى اية صورة كان ؟

بنى عمرو جامعه بطول ٢٠ ذراعا وعرض ٣٠ ذراعا وفرش ارضه بالحصباء ، وسقفه بسقف من الجريد والطين حمل على ساريات من جذوع النخل دون أن يجعل له صحنا ولا أمامه رحبة ، كما انه لم يجعل له مئذنة ولا محرابا مجوفا ولا منبرا . وفتح للجامع بابان فى كل من جوانبه الثلاثة الشرقى والبحرى والغربى . ثم شيد عمرو لنفسه دارا شرقى الجامع سميت « دار عمرو الكبرى » تجاورها من بحريها ، دار ثانية لابنه عبد الله سميت « دار عمرو الصغرى » ، ثم دار ثالثة بناها للزبير بن العوام ، واحيط الجامع من جهاته الأربع بطرق .

ولما قدم مسلمة بن مخلد والياً على مصر سنة ٤٧ هـ (٦٦٧) من قبل معاوية وسع الجامع سنة ٥٣ هـ (٦٧٢ - ٧٣) من الجهة البحرية وجعل امامه رحبة من هذه الناحية

وبيضه وزخرفه وفرش ارضه بالحصر ، ثم بنى أربع صوامع فوق اركانه الأربعة ، وقد قيل أنه نقش اسمه عليها وجعل الوصول اليها من مراق خارج الجامع ، فكانت تلك الصوامع نواة للمآذن فى مصر .

ولما ولى مصر عبد العزيز بن مروان من قبل اخيه الخليفة عبد الملك ، هدم الجامع سنة ٧٩ هـ (٦٩٨) ووسعه من الناحية الغربية ، وادخل فيه الرحبة التى انشأها مسلمة ، وقيل انه زاد فيه من جوانبه الأربعة . وفى سنة ٨٩ هـ (٧٠٧ ــ ٨) امر الوالى عبد العزيز بتعلية سقفه .

وفى سنة ٩٠ هـ (٧٠٨ ــ ٩) قدم مصر الأمير قرة بن شريك والياً عليها من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ، فهدم الجامع فى أول سنة ٩٢ هـ (٧١٠ ــ ١١) واعاد بناءه (٧١١) وفرغ منه فى رمضان ٩٣ هـ (٧١٢) ووسعه من الجهة القبلية ومن الجهة الشرقية واحدث فيه محرابا مجوفا ونصب فيه منبرا خشبيا جديدا سنة ٩٤ هـ (٧١٢ ــ ١٣) ــ كما انه احدث فيه مقصورة تقليدا لمعاوية بالجامع الأموى بدمشق ، وحينذاك صار للجامع اربعة أبواب فى جداره الشرقى ومثلها فى جداره الغربى وثلاثة فى الجدار البحرى .

ولما جاء صالح بن على والياً على مصر من قبل العباسيين ، زاد فى جامع عمرو سنة ١٣٣ هـ (٧٥٠ ــ ٥١)

اربعة أساطين ، وعمر هذا الأمير جزءا من مؤخر الجامع ، وفتح باباً جديدا بالجدار الشرقى .

وفى سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ زاد فيه موسى بن عيسى امير مصر من قبل الخليفة هارون الرشيد من الناحية البحرية .

وفى ولاية عبد الله بن طاهر (٢١٢ هـ / ٨٢٧) وسع الجامع بأن اضاف الى ارض الجامع مثلها من الجهة الغربية . ويمكن تصور زيادة ابن طاهر برسم خط مار بمركز دوران « المحراب » الكبير الحالى ومنتصف فتحة الباب الأوسط المقابلة له بالوجهة البحرية ، فهذا الخط يقسم الجامع الى قسمين الشرقى منهما يعادل بالتقريب مسطح الجامع الى عهد موسى بن عيسى ، والغربى هو زيادة ابن طاهر التى كانت فى خاتمة الزيادات [1] وكانت هذه الزيادة اخطر عمل اجرى بالجامع من الناحيتين الأثرية والمعمارية فقد أصبحت مساحة الجامع ١١٢,٥٠ × ١٢٠,٥٠ م .

وفى صفر سنة ٢٧٥ هـ / ٨٨٨ م التهم حريق وقع فى الجامع أكثر زيادة عبد الله بن طاهر ، فأمر خمارويه ابن طولون بعمارته على يد احمد بن محمد العجيفى ، فتمت هذه العمارة فى السنة ذاتها وزوقت أكثر عمد الجامع .

وفى سنة ٣٧٨ هـ / ٩٨٨ م كانت اولى عمارة الفاطميين

---

(١) محمود احمد ، جامع عمرو بن العاص بالفسطاط ، ص ١٠

بالجامع ، فقد أمر الخليفة العزيز بالله وزيره أبا الفرج يعقوب ابن كلس بعمل فوارة تحت قبة بيت المال واقامة السقائف الخشبية المحيطة بها على يد « المقدسى الأطروشى » كما عمل منبر جديد .

وفى شعبان سنة ٤٠٦ هـ (١٠١٦) أمر الحاكم بأمر الله باضافة رواقين يقتطعان من صحن الجامع ، والواقع ان هذين الرواقين كانا موجودين الا ان أعمدتهما كانت من الخشب ، فأمر بنزعها والاستعاضة عنها بعمد من الرخام .

وفى عام ٤٥٠ هـ (١٠٥٨) بنيت المئذنة التى بين مئذنة عرفة وبين المئذنة الكبيرة التى حلت محلها الآن القبة القائمة فوق ما يسمى ضريح عبد الله بن عمرو . وقد هدمت هذه المئذنة . اما مئذنة عرفة فكانت قائمة على الطرف الغربى لجدار المحراب .

وفى اثناء غزوة الصليبيين لمصر (١١٦٨ — ٦٩) عسكروا جنوب الفسطاط ، فخشى شاور ان يحتلوها ، فحرقها وأصيب الجامع بضرر كبير . ولما تولى السلطان صلاح الدين الأيوبى ملك مصر (١١٧٢ — ٧٣) جدد صدر الجامع والمحراب الكبير ورخمه ورسم عليه اسمه وجدد بياض الجامع وازال شعثه وجلا عمده وأصلح رخامه حتى صار جميعه مفروشا بالرخام .

والظاهر أن عمارة صلاح الدين كانت آثارها باقية الى حوالى منتصف القرن الثامن الهجرى ، فقد جاء فى رحلة

البلوى « الخالد بن عيسى بن أحمـد بن ابراهيم المغربى » التى بدأها سنة ٧٣٦ هـ (١٣٣٥ ـ ٣٦) واتمها سنة ٧٤٠ هـ (١٣٣٩ ـ ٤٠ م) أنه زار مصر [١] ووصـف جامع عمرو بقـوله :

« كنت أتردد بها الى المسجد العتيق الحافل الذى بناه عمرو بن العاص رضى الله عنه واليه ينسب اليوم ، فأرى جامعاً منيراً ومسـجداً كبيرا له صحن فسيح واسـوار حافلة ، وتعاصير من العود عجيبة وتواريخ مكتوبة بالخط الحافل المذهب كثيرة ومنها ما كان مكتوبا على المحراب » [٢] .

واهم الاصلاحات التى جرت فى الجامع بعد أيام الأيوبيين هى :

١ ـ عمارة السلطان الظاهر بيبرس ٦٦٦ هـ (١٢٦٨ م) .

٢ ـ عمارة السلطان المنصور قلاوون فى سنة ٦٨٧ هـ (١٢٨٨ م) .

٣ ـ عمارة سـلامة نائب السـلطنة فى سنة ٧٠٢ هـ (١٣٠٢ ـ ٣ م) .

٤ ـ عمارة علاء الدين نائب دار العدل .

٥ ـ عمارة الصاحب تاج الدين بن حنـا .

---

(١) تاج المفرق فى تحلية علماء الشرق (مخطوط) .

(٢) محمود أحمد : المصدر السابق ذكره ، ص ٣٠

٦ ـ عمارة الرئيس برهان الدين رئيس التجار بمصر فى سنة ٨٠٤ هـ (١٤٠١ ـ ٢ م) .

٧ ـ عمارة السلطان قايتباى فى سنة ٨٧٦ هـ (١٤٧١ م).

٨ ـ عمارة الأمير مراد بك سنة ١٢١٢ هـ ـ ١٧٩٨ م .

٩ ـ وفى سنة ١٣١٧ هـ ـ ١٨٩٩ م . اجرى ديوان الأوقاف عمارة كبرى بالجامع ، فجدد السقف للايوان القبلى وبعض الايوانات الأخرى واقيمت جدرانه وفرشت أرضه بالبلاط .

١٠ ـ وفى عام ١٩٣٠ ، أصلحت لجنة حفظ الآثار العربية الايوان الكبير اصلاحا شاملا وقامت بتقوية جدران الأجزاء الأخرى من الجامع .

مقياس النيل بالروضة

يقع بجنوبى جزيرة الروضة ، وقد انشىء فى عهد الخليفة المتوكل على الله جعفر العباسى (٢٤٧ هـ ـ ٨٦١ م) وأشرف على بنائه محمد بن كثير الفرغانى المهندس ، ثم أصلحه الأمير أحمد بن طولون (٢٥٩ هـ ـ ٨٧٢ م) ، وفى أيام الفاطميين عمر بدر الجمالى بناء المقياس (٤٨٥ هـ ـ ١٠٩٢) وبنى غربيه جامعا سماه « جامع المقياس » ، ثم اقام السلطان الظاهر بيبرس قبة على البئر ، ويعزى الى السلطان قايتباى اصلاح اساسه وبعض أماكنه .

وأهم الاصلاحات كانت تلك التى قامت بها مصلحة

المبانى ولجنة حفظ الآثار العربية فى عام ١٩٢٥ وذلك على اثر حدوث هبوط فى العمود وقد تم هذا الاصلاح على خير وجه كما اقيم غطاء هرمى الشكل للمقياس من الخارج . ويتكون هذا المقياس من عمود رخامى مدرج يتوسط بئرا مربعة من الحجر ، مساحتها ٦,٢٠ مترا مربعا وبها درج يوصل الى قاع البئر ، يجرى حول حوائطه الداخليـــة ، ويتصل المقياس بالنيل بواسطة ثلاث فتحات تجرى بالقرب من القاع وهى على شكل عقود مدببة ترتكز على عمد متصلة ذات تيجان ونقشت على جدران البئر من الداخل وفوق عقوده آيات قرآنية مكتوبة بالخط الكوفى ، والعمود المدرج عليه كتابات بالخط الكوفى وأعلاه دوّن عليه رقم تسع عشرة ذراعا ، وقطاع العمود مثمن ، وثبت فى وسط البئر بواسطة عقدين يرتكزان على حوائط البئر من الداخل . والمعروف ان هذا المقياس لا يستخدم حاليا لقياس الفيضان .

كنائس الفسطاط وأديرتها

قبل أيام الفتح العربى ، ازدهرت الكنائس فى منطقة الفسطاط ، ولعل كنيسة المعلقة كانت اهمها ، وهى معلقة على قمة البرجين الجنوبيين من ابراج حصن بابليون وعلى ارتفاع ١٣ مترا فوق سطح الأرض الأصلية له ولم يزل جزء منها وبه المعمودية بأعلى احد البرجين القائمين على جانبى الباب القبلى الذى عرف باسم باب الحديد .

شيدت الكنيسة المعلقة فى القرن الرابع ، على ما ترجحه معظم المراجع ، وكانت متسعة ولكنها صغرت لكثرة ما أدخل عليها من التعديل ، ويرجع الى نخلة الباراتى (١٨٩٠) الفضل فى المحافظة على كثير مما كان بها من الايقونات والأحجبة والمنبر الرخامى .

وللمعلقة شهرة منذ القدم فقد كانت مركزا لابروشية بابليون منذ عهد البطريرك بنيامين سنة ٦١٧ الى عهد البطريرك يوساب سنة ٨٢٣ ثم اصبحت مقرا للكرسى البطريركى منذ ان قرر أنبا خريستودولوس البطريرك السادس والستون نقل مقر البطريركية القبطية من الاسكندرية الى مدينة مصر سنة ١٠٣٩ . وكان أول من اقام بها صلاة القداس . وظلت المعلقة مقرا للكرسى البطريركى الى ان نقل منها الى كنيسة أبى السيفين فى القرن الرابع عشر . وبها الآن بدائع رائعة من الأيقونات التى يرجع أقدمها الى القرن الخامس عشر وأغلبها مؤرخ فى سنة ١٧٧٧ م . ويلاحظ انه كتب على حجاب معمودية المعلقة اسم المعلم عبيد أبو خزام وتاريخ سنة ١٤٩٣ (١٧٧٧) للشهداء مع دعوات أخرى .

وتعتبر كنيسة المعلقة أهم الكنائس القبطية جمالا وفنا ، يتمثل ذلك فى أبوابها المطعمة بالعاج والأبنوس وفى هياكلها الخشبية وفى صورها البديعة وفى منبرها الرخامى.

كنيسة أبى سرجة

تقع بجوار المتحف القبطى ويجمع المؤرخون على انها شيدت فى المكان الذى قامت به الأسرة المقدسة لما هربت الى مصر من وجه هيرودس ملك اليهود . انشئت فى اواخر القرن الرابع أو فى أوائل الخامس باسم سرجيوس وداخس ، وهما جنديان استشهدا بجهة الرصافة بسورية فى أوائل القرن الرابع .

وهذه الكنيسة لا تقل اهمية من الوجهتين التاريخية والفنية عن الكنيسة المعلقة وكانت أولى كنائس مصر بعد دير أبى مقار ، يقيم بها البطاركة القداس بعد تكريزهم فى الاسكندرية وقد تهدمت فى القرن العاشر وأعاد بناءها هى وكنيسة الست بربارة « يوحنا بن الابح » . وتقع هياكل الكنيسة فى القسم الشرقى وبأسفله المغارة وحجاب الهيكل القبلى مطعم بالسن والعاج . أما الحجاب الذى يفصل الكنيسة عن الهيكل الأوسط فيرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر وهو مطعم بالعاج وعليه نقوش جميلة وبه خمس قطع بها نقوش بارزة ، ثلاث منها على اليمين تمثل : الأمير تادرس ، مار جرجس والقديس ديمتريوسى ، واثنتان على اليسار تمثلان ميلاد المسيح ومعجزة الخبز والسمك ويرجع تاريخ هذه القطعة الى القرن العاشر . وبصحن

الكنيسة منبر رخامى يقوم على عشرة عمـد وقد جدد حديثا وكان قبله منبر خشبى نقلت بقـاياه الى المتحف القبطى .

كنيسة الست بربارة

تقع بالقرب من كنيسة ابى سرجة والمتحف القبطى وقد تأسست فى أواخر القرن الرابع أو أوائل القرن الخامس وكرست باسم الست بربارة ابنة ديفوروس أحد أغنياء مدينة نيكوميديا بآسيا الصغرى وقد اعتنقت المسيحية على يد العلامة أوريجانس المصرى فى أوائل القرن الثالث الميلادى وكان والدها وثنيا فعابت عليه عبـادته للأوثان فغضب عليها وقتلها .

وكانت تعد هـذه الكنيسة من أجمل كنائس القبط بمصر وقد تهدمت فى القرن العاشر وأعاد بنـاءها وكنيسة أبى سرجة « يوحنا بن الايح » وقد عثر على بابها القديم وعلى احجبة فاطمية جميلة أودعت بالمتحف القبطى . ومما يسترعى النظر فيها حجاب الهيكل المتوسط ، فهو مطعم بالعاج الدقيق الصنع ويرجع تاريخه الى القرن الثالث عشر وأمامه منبر رخامى يرتكز على عشرة عمد رخامية . وقد عنيت ادارة حفظ الآثار الاسلامية بهذه الكنيسة فأصلحتها وكادت أن تندثر وجددت وجهتها .

كنيسة القديس مرقوريوس

تعرف أيضا بأبى السيفين وتعتبر من اهم كنائس الفسطاط من الناحيتين الفنية والتاريخية وقد هدمت مع ما هدم من الكنائس فى القرن الثامن - وفى عام ٩٧٠ - جددها الأنبا ابرام السريانى البطريرك الثانى والستون فى زمن المعز لدين الله الفاطمى ، وقد عنى بها أبو الفضل المعروف بابن الأسقف كاتب سر الأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى ، وفى عام ١١٦٨ احرقت هذه الكنيسة ضمن حريق الفسطاط ولم ينج من الحريق الا كنيسة صغيرة باسم مار جرجس بأعلى الجناح القبلى عمّرها الشيخ أبو الفضل يوحنا بن كثيل الأسقف عام ١١٧٤ وفى عام ١١٧٦ رمم الكنيسة الكبرى الشيخ أبو البركات بن أبى سعيد هيلان واستبدل بالعمد الرخامية اكتافا من الآجر تحمل الأسقف كما شيد القباب التى تعلو الهياكل .

ومما يلفت النظر فى الكنيسة ، جمال نجارة الأحجبة المطعمة بالسن والأبنوس ويرجع تاريخها الى القرنين الثالث عشر والرابع عشر وفى خارج الكنيسة شرقى الحوش كنيسة أخرى عليها اسم يوحنا المعمدان ويعقوب المقطع وفى الجهة القبلية منها معمودية عليها حجاب من الخشب به نقوش بارزة .

ضاحيتا الفسطاط

عسكر بني العبـــاس [1]

وقطـائع بني طولون

حينما كانت الفسطاط عاصمة مصر الاسلامية (١٢٣ هـ ـ ٧٥٠ م) فر مروان بن محمد آخر خلفاء الأمويين الى مصر لينجو بنفسه ضد منازعة أبى العباس الهاشمى أول خلفاء العباسيين ، فلما وصل الى مصر اشعل رجاله النـــار فى الفسطاط وفى القنطرة التى كانت تصلها بجزيرة الروضة .

---

(١) فى الأصل المعسكر كما جاء فى فتوح مصر لابن عبد الحكم . وكان يمتد العسكر على شاطىء النيل وهو وقتئذ أقرب الى الشرق من موضعه الحالى لانه كان يجرى بجانب المرتفع المشيد عليه جامع عمرو بن العاص ثم ابتعد عنه على توالى الزمن نحو خمسمائة متر . وكان العسكر يحده جنوبا كوم الجارح حيث تمتد الآن قناطر العيون (المجرى) وشمالا شارع مراسينا ، الى ميدان السيدة زينب حيث قناطر السباع أمام المشهد الزينبى ، وغربا بين شارعى السد والدبورة ، وشرقا خط تصورى يمتـد من مسطبة فرعون بجـوار مسجد الجاولى بشارع مراسينا الى السيدة نفيسة المعروف قديما بباب المقدم . وفى عهد المقريزى لم يبق للعسكر ذكر بل كان اسم القطائع هو المعـروف ـ تعليق الاسـتاذ محمد بك رمزى .

واتجه الى شاطىء النيل الغربى ، لكن ذهبت تدابيره عبثا ، لأن القائد العباسى ورجال خراسان أدركوا ما عزم عليه ولحقوا به بسرعة فى قرية بوصير وقتلوه . ثم حملوا راسه وطافوا المدن ليتأكد الناس أن الخلافة قد انتقلت من البيت الأموى الى البيت العباسى .

وكأن رجال العباسيين لم يرضوا أن يسكنوا بيوت الفسطاط ، اما لرغبة فى التجديد واتخاذ عاصمة جديدة كما جرت العادة فى الشرق منذ قديم الزمان . واما لأن مروان بن محمد كان قبل قتله قد أضرم النار فى الفسطاط فدمرت جزءا كبيرا منها . فأنشأوا حاضرة أخرى جديدة لدولتهم الناشئة فى مصر فى مكان عرف فى صدر الاسلام باسم الحمراء القصوى ، وكان يمتد الى جبل يشكر الذى بنى ابن طولون على قمته مسجده الجامع . وفى ذلك المكان أقام العباسيون دورهم واتخذوا مساكنهم ، وبنى صالح ابن على دار الامارة وثكن الجند ثم شيد الفضل بن صالح مسجد العسكر . وبمرور الأيام اتصلت العسكر بالفسطاط وأصبحتا مدينة كبيرة خطت فيها الشوارع وشيدت عليها المساجد والدور والبساتين والأسواق . وفى القطائع بنى الأمير احمد بن طولون فيما بعد بيمارستانه بالقرب من بركة

قارون التى ردمت وشيد عليها كافور الاخشيدى دارا صرف عليها مائة الف دينار ليسكن فيها .

وازدهر العسكر لكثرة ما شيد فيه من الأحياء العامرة . وقد سكنها الخمسة والستون واليا الذين حكموا مصر نائبين عن الخلفاء العباسيين مدة ١١٨ سنة ، وصار حيا زاهرا لم يقلل من شأن الفسطاط كمركز هام للتجارة أو كعاصمة ثانية لمصر وبتوالى السنين عظمت العمارة فى العسكر الى ان قدم أحمد بن طولون وشيد قصره بالقطائع وترك العسكر ، وليس هناك اليوم اثر لهذه الضاحية ، كما أن المؤرخين لم يحتفظوا بتاريخ واف لحكامها ، فقد ساد عصرهم نوع من سوء الادارة وفساد الحكم ، ولقوا صعابا كثيرة عرقلت أعمالهم اشد مما عاناه ولاة بنى أمية فى مصر . وكان لزاما عليهم أن يخمدوا الفتن التى أثارها الخارجون عن الاسلام أصحاب بعض المذاهب . أو يقاوموا الثورات التى شبت بين القبائل العربية أو الأقباط . وقد ظل أمراء مصر يقيمون فى دار الامارة فى العسكر حتى بنى جوهر قائد جيوش المعز مدينة القاهرة وتخربت العسكر فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى على أثر الشدة العظمى كما ذكرنا حينما تكلمنا عن خراب الفسطاط .

ولسنا فى حاجة الى أن نصف الفترة من حكم العرب

فى الفسطاط أو العسكر فان ولاة العسكر لم يتركوا اثرا لهم نستدل منه على اعمال الاصلاح التى قاموا بها . لكننا نقول ان العسكر عمرت كقاعدة رسمية لمصر الاسلامية أكثر من قرن (١٣٣ - ٢٥٦ هـ) وتناول المقــريزى وصف ما آلت اليه العسكر وذكر باسهاب ما كان فيها من الدور والبساتين والمساجد والأسواق والحمامات ... الخ .

قطائع بنى طولون

فاذا انتقلنـا الى العصر الذى زاد فيه نفوذ الجنـد الأتراك فى خدمة الخليفة العباسى راينا مقاليد الأمور أصبحت فى أيديهم وانهم استولوا على أكبر مناصب الدولة وصار منهم أكثر الولاة والعمال ، وقدم الى وادى النيل اول وال تركى الأصل سنة ٨٤٦ . ثم بدأ الخلفاء فى اقطـاع مصر أولياء عهودهم او كبار القواد من الترك ، وكان هؤلاء القواد لا يميلون الى الابتعاد عن العاصمة العباسـية خشـية الدسائس فكانوا يرسلون الى مصر عمالا من قبلهم . وكانت مصر من نصيب أحد كبار الأتراك واسمه (باكباك) ولاه عليهـا الخليفة المعتز بن المتوكل ونظرا لما كان الشاب أحمد ابن طولون من المكانة الطيبة انتخبه باكباك قائدا للحاميـة العسكرية فى الفسطاط ، وكان طموحا الى المجد فلم يمض على ولايته فى مصر عامان حتى استقل بملكها .

رأى ابن طولون أن العسكر أصبحت لا تتسع لحاشيته وتضيق بمطامعه ، فأخذ يبحث عن موقع آخر قريب من الفسطاط . فصعد الى المقطم ونظر الى ما حوله فرأى بين العسكر والمقطم بقعة فضاء الا من بعض المدافن مساحتها نحو ميل مربع فأمر بهدمها ليقيم عليها عاصمته واختط

فى وضعها مدينته الجديدة القطائع ووضعت الخطط الأولى للقاعدة الجديدة فى شعبان عام ٢٥٦ هـ / ٨٧٠ م .

ويمكن القول بأن حدود العاصمة الجديدة امتدت بين حد الفسطاط الشمالى حيث جبل يشكر وبين سفح المقطم فى مكان عرف وقتئذ بقبة الهواء . وفيما بين الرميلة تحت القلعة الى مشهد الراس الذى عرف فيما بعد بمشهد زين العابدين واختط الأمير ابن طولون قصره وأمر أصحابه ورجاله وأتباعه بأن يشيدوا بيوتهم فاتصل البناء بعمارة الفسطاط . واقطعت كل جماعة من الأتباع والجنود منطقة خاصة سميت كل قطعة بمن سكنها ، ثم عمرت القطائع عمارة حسنة وتفرقت فيها السكك والأزقة . وبنيت فيها المساجد والطواحين والحمامات والأفران ... الخ ..

ولما كثر اتباع ابن طولون حتى ضاق بهم جامع العسكر التمسوا منه أن يشيد لهم جامعا آخر أوسع من الجامع الأول فأجابهم الى التماسهم ، واحتفل بوضع أساسه على جبل يشكر عام (٢٦٣ هـ — ٨٧٦ م) وانتهى تشييده بعد عامين ، وقد غالى فى زخرفته الداخلية وعلق فى سقفه القناديل بسلاسل نحاسية طويلة ونقش على افريزه آيات من القرآن لا يزال بعضها ظاهراً الى اليوم . وهذا الجامع هو الأثر الوحيد الذى خلد اسم ابن طولون على مر العصور حتى اليوم — وهو فى طليعة أجمل الآثار فى مصر ويعتبر علما ظاهراً فى تاريخ العمارة الاسلامية .

تولى الحكم « خمارويه » بعد وفاة أبيه فنقل قاعدة حكمه الى القطائع واقبل على عمارة قصر ابيه وزاد فيها كثيرا واخذ الميدان المجاور للميدان وحوله الى بستان فتان وزرع فيه انواع الرياحين واصناف الشجر وكسا جذوع النخل بالنحاس المذهب والمفضض ، وأنشأ فى وسط قصره بركة ملأها بالزئبق وجعل فى اركان البركة سلكا من فضة وجعل فى السلك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من فضة وعمل فرشا من آدم يمشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شده ويلقى على تلك البركة الزئبق ويشد بالزنانير التى فى حلق الفضة المقدم ذكرها . وينزل خمارويه فينام على هذا الفرش . فلا يزال يرتج ويتحرك بحركة الزئبق ما دام عليه بينما يحرسه أسده الأزرق العينين ، وبوفاة خمارويه هوى نجم الأسرة الطولونية واخذت فى الانحلال وأقبل محمد بن سليمان القائد العباسى للاستيلاء على البلاد فبلغ الحدود المصرية وهزم الأسطول المصرى ثم انقض على القطائع (٢٩٢ هـ/٩٠٥ م) وألقى النار فيها فالتهمت الدور والمساجدوالحمامات ونهب أصحابه الفسطاط ودمرت الضاحية الجميلة . ثم عادت الفسطاط مرة ثانية مقـــرآ للحكومة ، ولما اصـــيبت مصر بالمجاعة فى أيام المستنصر (٤٥٧ ــ ٤٦٤ هـ / ١٠٦٥ ــ ١٠٧٢) قضت على البقية الباقية من مخلفاتها الخربة واصبحت القطائع والعسكر أثرآ بعد عين ولم يبق غير الجامع الكبير .

كانت القطائع اول مدينة بمعنى الكلمة انشئت فى وادى النيل فى العهد الاســـلامى ، روعى فى انشائها وتخطيطها القواعد الفنية التى اتبعت عند تأسيس مدينة سامرا فى العراق ، ولما كان الخليفة المعتصم قد امر قائده اشناس ببناء سامرا عام ٨٣٦ م بعد ان صعب عليه التوفيق بين سكان بغداد ورجال حرس الخليفة الأتراك ، فان ابن طولون بعد قدومه من بلاد الجزيرة رأى ان يتلافى الخطر بنفســـه فتدارك الأمر وأنشأ الضاحية ليبتعد عن الفسطاط وجعلها عاصمة ملكه الساطع واتخذها بعده خلفاؤه من أسرته . كانت اوجه الشبه متقاربة جداً بين مدينة ابن طولون وبين سامرا ، فقد كانت كل منهما مقسمة الى خطط او قطائع تضم كل قطعة منها السكان الذين تجمعهم رابطة العرق او رابطة العمل ، واصبح اسم القطائع علمـــا على مدينة ابن طولون . وقد كان هذا الاسم يطلق فى سامرا على كل احياء المدينة الا القصـــور الملكية [١] وامامه ميدان للعب الكرة وحدائق غناء وطرق متقاطعة .

---

(١) الدكتور زكى محمـــد حسن : الفن الاسلامى فى مصر ج ١ ص ٥٧ و ٥٨

وكان طراز العمارة والزخرفة الذى استخدم فى انشاء الدور الخاصة والعامة فى سامرا قد انتقل مع ابن طولون الى مصر قبل أن يمضى على انشاء سامرا نفسها اكثر من أربع وثلاثين سنة . ومما يؤيد ذلك تأييداً ماديا الزخارف الجصية التى عثر عليها على جدران دار طولونية كشفتها دار الآثار العربية عام ١٩٣٢ م [١] .

---

(١) راجع الفصل الخاص بالفن الطولونى من كتاب الدكتور زكى محمد حسن :

Les Tulunides. Paris 1933.

آثار القطائع

جامع ابن طولون

يعتبر جامع ابن طولون ثالث الجوامع التى شيدت بمصر الاسلامية ، انشأه احمد بن طولون سنة ٢٦٥ هـ (٨٧٨ ـ ٧٦) وسط مدينة القطائع ليكون مسجداً جامعا ، وتبلغ مساحته حوالى ستة افدنة ونصف فدان ، وهو مربع الشكل تقريبا ، تحيط به من جهاته البحرية والقبلية والغربية زيادات ثلاث ، لم تتواجد فى غيره من مساجد مصر . وتقدر مساحة الجامع بدون الزيادات ٢٦ر١٢٢ × ٣٣ر١٤٠ متراً ، ويتكون المسجد من صحن مكشوف مربع فى وسطه ، مساحته حوالى ٩٢ متراً مربعا ، وتحيط به أربعة اروقة اكبرها رواق القبلة الذى يتكون من خمس بلاطات ، وكل من الأروقة الثلاثة الباقية يتكون من بلاطتين فقط ، ومن هذا المسجد مبنى بالآجر ، ويتوسط الصحن فوارة تعلوها قبة محمولة على صفوف من المقرفصات شيدها السلطان حسام الدين لاچين سنة ٦٩٦ هـ (١٢٩٦ ـ ١٢٩٧) .

ويعلو العقود من داخل الأروقة افريز زخرفى من

الجص يعلوه ايزار خشـــبى يحيط بأروقة الجامع كتبت عليه كتابات قرآنية بالخط الكوفى البارز ، والسقف مكون من كمرات افقية من جذوع النخل مسمر من جانبيها ومن اسفلها الواح خشبية .

وتشتمل بطون العقود وما حول النوافذ والعقود على زخارف جصية تمثل الزخارف الجصية العباسية التى عثر على ما يشـــبهها فى مدينة سر من راى . اما المحاريب الجصية المستوية وهى غير المحراب الأصلى المجوف المثبتة فى بعض أكتاف ايوان المحراب فجميعها تنسب الى ايام الخلفاء والفاطميين ما عدا اثنين أحدهما انشاه السلطان لاچين على مثال المحـــراب المستنصرى المجاور له والآخر بجدار القبلة .

والسلطان لاچين الذى مر ذكره (تولى الحكم ٦٩٦ هـ ـ ١٢٩٦) هو الذى قام بعمـــارة كبيرة بالجامع ، تناولت اصلاحه اصلاحاشاملا وذلك وفاء لنذر نذره لتعمير الجامع ، حينما اختفى فى مئذنته أثناء فتنة . وقد وفى بنذره وعهد الى الأمير علم الدين ســـنجر الدوادارى باجـــراء تلك الاصلاحات .

وأعجب ما يمتاز به هذا الجامع ، مئذنته ذات السلم الخارجى الحلزونى ، المتأثرة الى حـــد كبير بمئذنة المسجد الكبير بسامراء ، وهى المئذنة الفريدة التى شيدت بهذا الطراز فى مصر . وتتكون من قاعدة مربعة أضيفت للمئذنة

فى عمر السلطان لاچين ويعلوها منطقة متوسطة اسطوانية يجرى حولها من الخارج درج يوصـــل الى المنطقة العلوية التى تتكون من مثمنين العلوى أصغر من السفلى ، وفى قمة المئذنة توجد طاقية مضلعة على شكل المبخرة ، ويبلغ ارتفاع المئذنة عن سطح الأرض ٤٤ر٤٠ متراً ، ويربط المئـــذنة بجدار المسجد الشمالى الغربى قنطرة على عقدين من طراز حـــدوة الفرس ، وتنسب هـــذه القنطرة الى السلطان لاچين [١] .

وقد اجريت بالجامع عدة اصلاحات فى عصور مختلفة ، منها عمارة بدر الجمالى الوزير الفاطمى ســـنة ٤٧٠ هـ (١٠٧٧) كما اثبت فى لوح من الرخام فـــوق باب سور الزيادة البحرية ، وقد عنيت لجنة حفظ الآثار العـــربية باصلاح المسجد منذ عام ١٨٨٢

(١) كمال الدين سامح : العمارة الاسلامية فى مصر ، ص ٤٢

تراث الفسطاط

فى الفن الاسـلامى

وبالرغم من خراب الفسـطاط منذ قرون ، فانهـا ما زالت ينبوعا يزخر بمخلفات الفن الاسـلامى ولطائفه البديعة . فكلما نقب الآثاريون فيهـا ، عثروا على قطع الخزف ، والنسيج ، والخشب ، والزجاج ، والعاج ، والمعادن مما يلقى الضوء على نتاجها الفنى الذى لا ينضب ! يشهد بذلك ما نراه اليوم فى متاحف الفنون فى العالم : متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، وفكتوريا والبرت بلندن ، واللوفر بباريس ، ومتروپوليتان بنيويورك .

فقد أمدتنا اطلال الفسطاط منذ وقت طويل بعشرات الألوف من القطع الخزفية التى تمثل شتى انواع الخزف الاسلامى والمواد الأخرى ، تطوى المدة بين القرنين السابع والسابع عشر . وطبيعى لم يكن كل ما عثر عليه من صناعة مصر ، اذ ان بعضه مستورد من العراق وسورية وتركيا وايران .

ومتحف الفن الاسلامى بالقاهرة غنى بالنماذج الجميلة من قطع الخزف الفاطمى ذى البريق المعدنى ، والتى عثر

على معظمها بالفسطاط ، ويحمل الكثير من تلك القطع أسماء صانعيها على ظواهر قاعداتها ، وفى طليعتهم سعد ومسلم . وتبدو الصلة واضحة بين ما أنتجه سعد ومدرسته وبين الخزف ذى البريق المعدنى فيما قبل العصر الفاطمى ، ولا سيما فى رسوم الحيوان . ومما يميز أسلوب هذه المدرسة براعة الفنان فى استخدام فرجونه ، والدقة الملحوظة فى اتقان رسوم الأشخاص والحيوان فوق الأرضية النباتية المتقنة . ومن اهم القطع الجميلة المعروفة مما صنع الفنان سعد الفسطاطى ، سلطانية بمجموعة كليكيان بمتحف فكتوريا والبرت بلندن ، عليها رسم شخص يحمل فى يده مشكاة أو مبخرة على الأرجح . وهناك سلطانية من انتاج مسلم فى متحف متروبوليتان يزينها رسم بالبريق المعدنى الذهبى لنسر نشر جناحيه ، فغطى فراغ الاناء .

والى جانب هذين الخزافيين ، فقد وصلت الينا امضاءات بعض الفنانين المصريين فى العصر الفاطمى ، مثل طبيب على ، وابراهيم المصرى ، وساجى ، وابى الفرج وابن نظيف والدهان ، ويوسف ، والحسينى ، وأولاد الفاخورى ، وغيرهم ، وتوجد أسماؤهم على قطع خزفية محفوظة فى متحف الفن الاسلامى .

وقد كشفت حفائر الفسطاط عن كميات وافرة من الخزف الصينى والخزف الذى انتجه الخزفيون المصريون ، وغالبيتهم من أهل الفسطاط تقليداً له . ولعل اهم أنواع

الخزف فى عصرى الأيوبيين والمماليك ، انما هو النوع ذو الزخارف المنقوشة تحت دهان شفاف باللون الأزرق او الأخضر . وقد عثر على قطع منه فى حفائر الفسطاط وفى الرقة وبعلبك ودمشق .

ويعتبر ما كشفت عنه حفريات الفسطاط من بقايا الأبسطة ، ذا اهمية كبيرة فيما يتعلق بتاريخ عقد الأبسطة ونشأتها . وبين محتويات متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، قطعتان من تلك المخلفات عليها كتابات كوفية ، تحمل احداهما تاريخا ، يرجح ان يكون ١٠٢ هـ (٧٢١/٧٢٠) أو ٢٠٢ هـ (٨١٨/٨١٧) . وهناك قطعة ثالثة وجدت بمصر ، وعليها كتابات كوفية تشبه الكتابة التى على القطعتين السابقتين ، وهى محفوظة الآن بمتحف النسيج بواشنطن ، وتعتبر هذه القطع الثلاث وغيرها ، نماذج للأبسطة ذات الوبر من العصر العباسى . وفى متحف متروپوليتان قطعة هامة ، عثر عليها بالفسطاط ، وتزينها زخارف تشبه الدنتلة وشريط من المثلثات والأقراص المستديرة باللون الأزرق والأصفر والأخضر والبنى على ارضية حمراء . والاطار عبارة عن شريط من الكتابة الكوفية باللون الأصفر على أرضية زرقاء داكنة ، ويمكن ان ننسب هذه القطعة الى العصر الفاطمى (القرن ١١/١٢) .

وهناك أيضا فى متاحف الفنون ، قطع كثيرة من مختلف انواع النسيج الذى كان يصنع بالفسطاط ، من الصوف

أو القطن أو الكتان أو الحـــرير . ويلاحظ ان زخارفها متعددة الألوان ، واكثرها رسوم طيور او حيوان أو اشكال آدمية صغيرة ، وفيها اشكال هندسية وخطوط متقاطعة ودوائر متماسة . وعلى كثير من تلك القطع ، شريط افقى أو أشرطة أفقية من الرســـوم توازيها اشرطة من الكتابة الكوفية .

وقد عثر فى الفسطاط على عدة قطع من العظم المحفور ترجع الى أوائل العصر الاســـلامى ، كما انه وجدت عدة لوحات من أشكال مختلفة من العاج والعظم (القرن ١٠ ــ ١٢) تزينها موضوعات آدمية جميلة . وفى متحف متروپوليتان قطعة من لوح من العظم عليها صورة صياد وغزال على ارضية من التفريعـــات النباتيـــة تدل على حسن ذوق صانعها .

ومما وجده المنقبون فى حفائر الفسطاط قرص صغير مستدير من الذهب ، محفوظ فى متحف الفن الاسلامى . ووجه هذا القرص مقعّر ومغطى بالمينا ، ومقسّم الى ثلاثة اقسام . فى الأوسط كتابة كوفية بيضاء مزخرفة باللون الاحمر على ارضية سنجابية اللون . ونصها : « فالله خير حافظا » ، وبالقسمين الأعلى والإســـفل زخرفة حمراء

محدودة بالذهب على ارضـــية خضراء ، وعثر أيضا على أسورة وخواتم واقراط من الذهب او الفضة [١] .

وعلى العموم ، لقد اكد لنا المؤرخون والرحالة ، عربا كانوا أو غير عرب ، ممن زاروا مصر ـ مكانة الفسطاط فى الصناعة ، وعلو كعبتها فى التجارة وعالم المال ... حتى بعد أن اسست القاهرة فى القرن العاشر .. وكان ذلك بفضل موقعها الهام على النيل . وقد اشتهرت الفسطاط ، حتى القرن الثالث عشر ، بصـــنع ادوات الصلب ، والأوانى النحاسية ، والصابون ، والقوارير الزجاجية والبلورية ، والصحون الخزفية ، والورق ، علاوة على ما كانت تنتجه من السكر والمنسوجات البديعة .

* * *

هكذا رأينا الفسطاط التى ازدهرت أولا كقاعدة مصر الاسلامية ومنارة للدين الحنيف ، ومركزاً تنبعث منه ألوان الحضارة العربية الأصيلة . قد امدتنا اطلالها وخرائبها على مر الأعوام ، بآلاف النماذج الفنية الرائعة التى تشهد الى اليوم بما وصلت اليه البــلاد فى انتاج اللطائف البديعة ، فنافست مثيلاتها من مدن الشرق العربى والاسلامى خلال العصور الوسطى !

---

(١) زكي محمد حسن : فنون الاسلام ، ص ٥٢١ ـ ٥٢٢

مراجع للمطالعة

ـ ابن سعيد المغربى (ت حوالى أواخر القرن ١٣) : كتاب المغرب فى حلى المغرب ، طبعة جامعة القاهرة ، عام ١٩٥٠

ـ عبد اللطيف البغدادى (٦٢٩ هـ \ ١٢٣١) : الافادة والاعتبار فى الامور والمشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر ، طبعة المجلة الجديدة بالقاهرة ، وطبعات أوربية أخرى .

ـ عبد الرحمن الجبرتى (ت ١٨٢٥) : عجائب الآثار فى التراجم والأخبار ، جزءان ، طبعة بولاق ، عام ١٢٩٧ هـ\١٨٨٠

ـ على مبارك (ت ١٨٩٣) : الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة ، ٢٠ جزءا فى ٥ مجلدات ، طبعة بولاق ١٣٠٥\١٨٨٨

ـ القلقشندى ، شهاب الدين أحمد (ت ١٤١٨) : صبح الأعشى فى صناعة الانشا ، ١٤ جزءا ، طبعة دار الكتب المصرية ١٩١٣ ـ ١٩١٧

ـ المقريزى ، تقى الدين أحمد (ت ١٤٤١) : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، مجلدان ، طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ \ ١٨٥٣

كتب حديثة ومقالات

أحمد فكرى : مساجد القاهرة ومدارسها ، جـ ١ (المدخل) ، دار المعارف ، ١٩٦٤

حسن عبد الوهاب : تخطيط القاهرة وتنظيمها منذ نشأتها ، طبعة دار النشر للجامعات المصرية ، عام ١٩٥٧

زكى محمد حسن : الرحالة المسلمون فى العصور الوسطى ، دار المعارف ، عام ١٩٤٥

زكى محمد حسن وعبد الرحمن زكى : فى مصر الاسلامية ، مقالات منوعة لطائفة من الأساتذة ، طبعة المقتطف ١٩٣٧

عبد الرحمن زكى : القاهرة ، ٣ أجزاء ، مطبعة حجازى ، عام ١٩٣٢

شحاتة عيسى ابراهيم : القاهرة ، دار الهلال ١٩٥٩

فؤاد فرج : القاهرة ، ٣ أجزاء ، مطبعة دار المعارف ١٩٤٥\١٩٤٦

محمد رمزى : بحوث منوعة فى طائفة من المجلات ، القاهرة .

محمد عبد الله عنان : مصر الاسلامية وتاريخ الخطط المصرية ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣١

محمود أحمد : دليل موجز لأشهر الآثار العربية ، القاهرة ، مطبعة بولاق ١٩٣٨

يوسف أحمد : جامع سيدنا عمرو بن العاص ، عام ١٩٧١

يحيى الخشاب : سفرنامه لناصر خسرو ، مطبوعات معهد اللغات الشرقية ، كلية آداب جامعة القاهرة ، ١٩٤٥

دائرة المعارف الاسلامية : الترجمة العربية ، القاهرة .

تخطيط الفسطاط

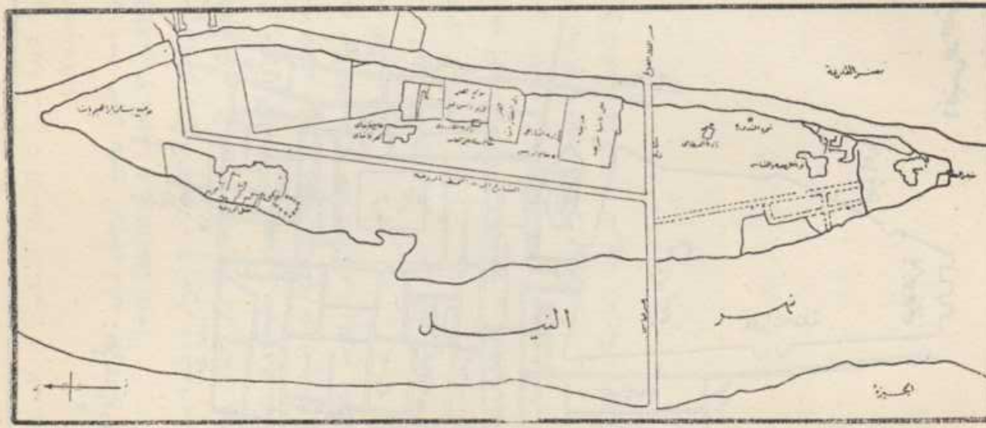
عن ابن دقماق والمقريزي والسيوطي



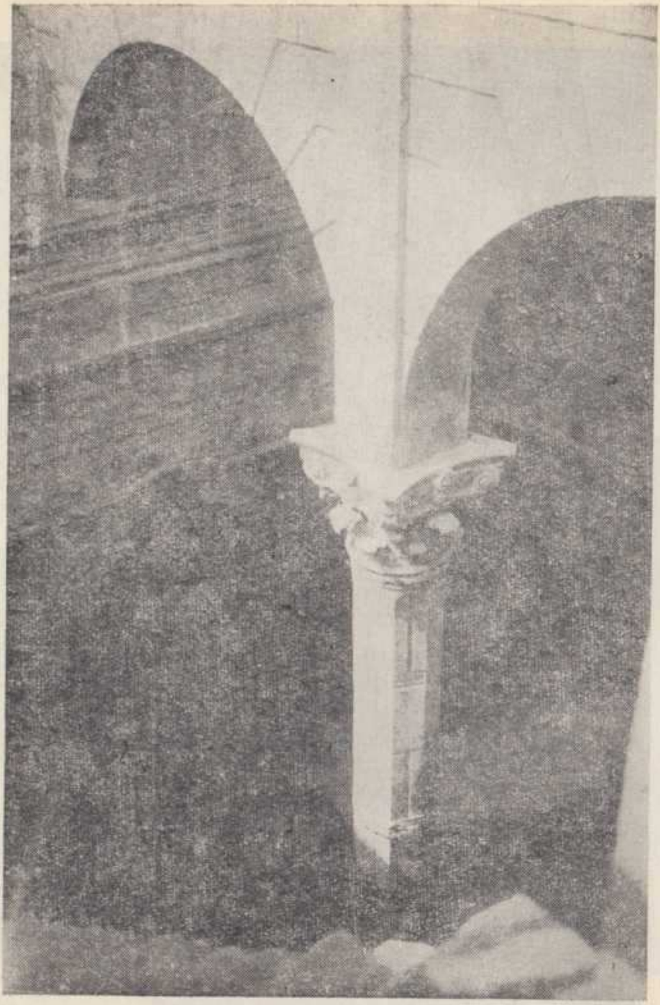
اقتبس هذا التخطيط من

المصادر التاريخية ونقله

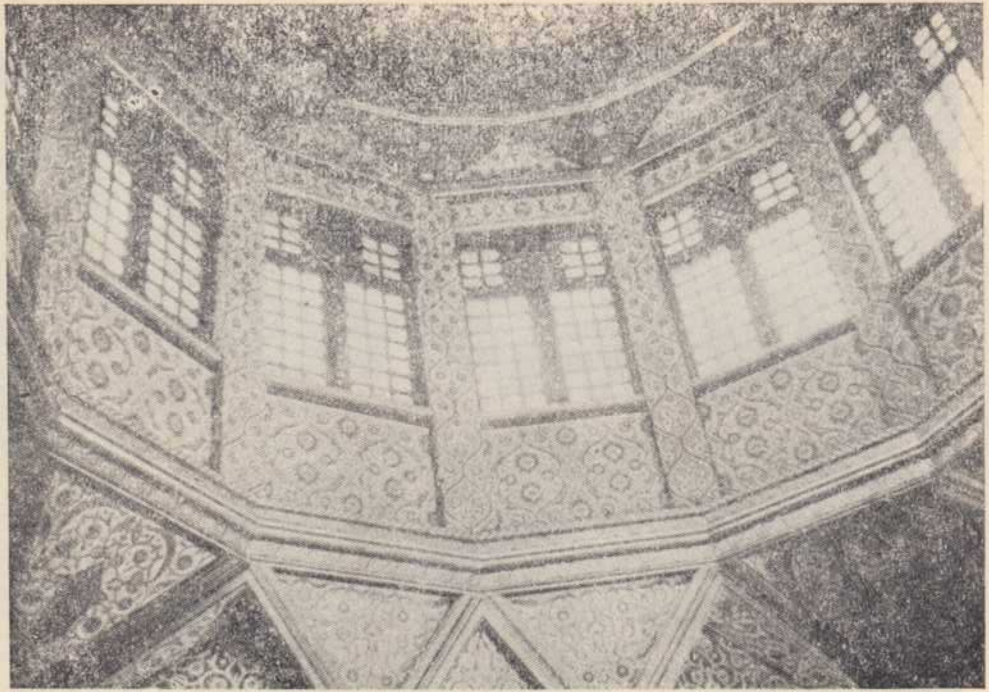
بمقياس تقريبي $\frac{1}{2000}$



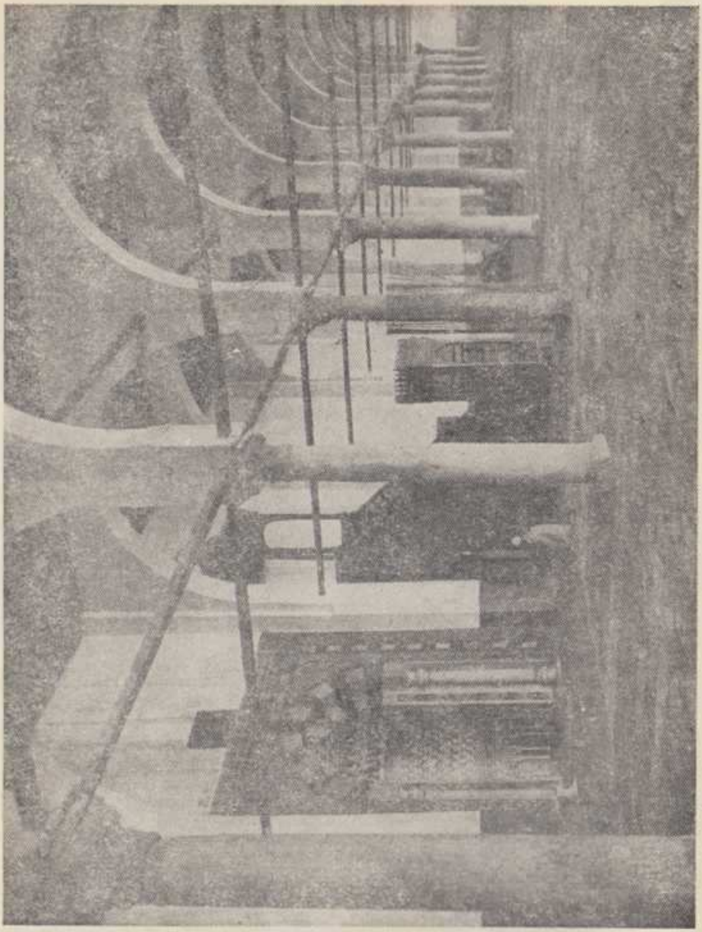
جزيرة الروضة وأهم عمائرها التاريخية



عمود مقياس النيل بالروضة تحيط به النقوش التاريخية



السقف الجميل الذى يعلو بناء مقياس النيل بالروضة . (مستحدث

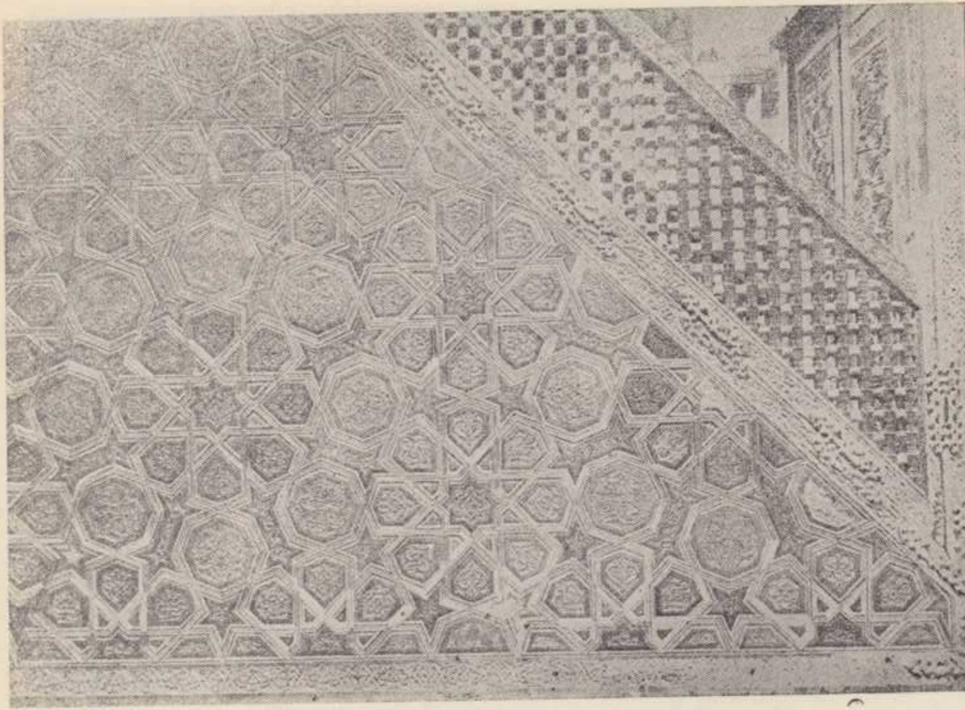




درج الكنيسة المعلقة بمصر القديمة تعلوها الأبراج



جامع ابن طولون تتوسطه النافورة (الميضأة) وتبدو مئذنته الفريدة الى شمال الصورة



منبر المنصور لاجين بجامع ابن طولون

الفهـــرست

الفســطاط :

فهرست الصـــور


موعدك صباح السبت من كل أسبوع مع عدد جديد
من مجلة
الإذاعة والسينما
التليفزيون • المسرح • السياحة
أقوى المجلات العربية المصورة
طباعة فاخرة
إخراج رائع
بـ ٥٠ مليما
٧٢ صفحة بالألوان
رئيس التحرير : رجاء العزبي

دار مصر للطباعة

٣٦ شارع كامل صدقي